الشاعر الفلسطيني

عزالدين المناصرة

الأعمال الشعرية الكاملة

الجزء الثاني

الشاعر عزالدين المناصرة الأعمال الكاملة

عزالدين المناصرة من الأصوات الشعرية الفلسطينية القوية والمتميزة في المشهد الشعري العربي التي أفرزتها نكسة هزيمة ٦٧ وماانتج عنها من تنكيل وتشريد أكثر للشعب الفلسطيني وتشردم أعمق في الصف العربي ...

في تجربة المناصرة الشعرية نلامس تلك الرؤية الحكيمة والخبرة الذاتية العميقة في القبض واقتناص تفاصيل اليومي سواء على جغرافية الأرض السليبة أوفي جغرافية الغربة القاسية حيث تتعاظم أسئلة الهوية والإنتماء والعشق في مختلف تجلياته الوجودية...

بإصدار هذه الأعمال الشعرية الكاملة رقميا يكون الشاعرالكبيرعزالدين المناصرة قد إنعطف في مسارتواصله مع القارئ العربي من سند الورق ورائحته العريقة .. نصاعة بياضه .. حميميته .. نوستالجيته إلى السند الإلكتروني .. إغراءاته التشعبية .. حربائيته اللونية .. ورفقاته المتعددة .. مما سيعطي لطعم تجربته الذاتية وهم القضية العربية مذاقا وبعدا جديدين وكونيين لاتحدهما تلك المتاريس التقليدية ...

عبده حقي

سيرة الشاعر الفلسطيني

عز الدين المناصرة

عز الدين المناصرة 11 أبريل 1946م شاعر وناقد ومفكر من مواليد محافظة الخليل بفلسطين عام 1946. ، تعلم في (مدرسة الحسين بن علي الثانوية)بمدينة (الخليل) بفلسطين وحصل على شهادة التوجيهي (الثانوية العامة) في صيف 1964--حصل على شهادة (الليسانس) في (اللغة العربية، والعلوم الإسلامية)، 1968، و(دبلوم الدراسات العليا)في النقد الأدبي والبلاغة والأدب المقارن عام 1969 في (كلية دار العلوم- جامعة القاهرة)... ثم أكمل دراساته العليا لاحقاً، وحصل على (شهادة التخصص) في الأدب البلغاري الحديث، وحصل على (درجة الدكتوراه) في النقد الحديث والأدب المقارن في جامعة صوفيا، 1981،... كما حصل على رتبة الأستاذية (بروفيسور) في جامعة فيلادلفيا، عمّان 2005. ..-أصدر (أحد عشر ديوانا شعريا) و(خمسة وعشرين كتابا) في النقد الأدبي والتاريخ والفكر...- ...وصدر عن تجربته الشعرية والنقدية منذ 1998 ما يقرب من(29 كتابا نقديا) أغلبها رسائل ماجستير ودكتوراه في الجامعات العربية... وترجمت أشعاره الى مايقرب من ثلاثين لغة أجنبية...ويعمل منذ 1995 أستاذا بجامعة فيلادلفيا الأردنية الخاصة. وسبق أن عمل أستاذا في الفترة (1983-1994)في الجامعات التالية: (جامعة قسنطينة-جامعة تلمسان-جامعة القدس المفتوحة- كلية العلوم التربوية (الأونروا-عمان.)-- وشارك في الثورة الفلسطينية المعاصرة(1964-1994) - وكان

(المناصرة) هو الشاعر الفلسطيني الوحيد الذي حمل السلاح دفاعا عن المخيمات الفلسطينية والجنوب اللبناني في المرحلة اللبنانية للثورة الفلسطينية.

عاش الشاعر والناقد والمفكر متنقلاً في عدة بلدان -هي: فلسطين (1946-1964)، مصر (1964-1970)، الأردن (1970-1973)، لبنان (1973-1977) بلغاريا (1977-1981)، لبنان (1981-1982)، تونس (1982-1983)، الجزائر "قسنطينة"(1983-1987)، الجزائر "تلمسان" (1987-1991)، الأردن (1991-حتى اليوم)-حيث لم يسمح له بالدخول الى مسقط رأسه فلسطين منذ 15 أكتوبر 1964 وحتى اليوم.

حياته العملية:

عمل صحافياً ومذيعاً في الأردن، وفي منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان في الفترة (1970-1982). ويعمل منذ 1983 وحتى اليوم(2013) في التعليم الجامعي.

عضو مؤسس في اتحاد كتاب فلسطين منذ(مؤتمر غزة 1966.) بترشيح من غسان كنفاني وعبد الكريم الكرمي (أبو سلمى).-- وهو أيضا: (مُؤسس)، رابطة الكُتّاب الأردنيين، (مقرر اللجنة التحضيرية التأسيسية) . كتب نظامها الداخلي وأعلن تأسيسها بنفسه في (ندوة (نادي خريجي الجامعة الأردنية)في جبل عمان بمشاركة عيسى الناعوري ومحمود سيف الدين الإيراني ومحمود السمرة بتاريخ 1973/12/23)-- انظر (جريدة الرأي الأردنية 24 كانون أول 1973---ومدير ومذيع البرامج الثقافية في الإذاعة الأردنية حتى عام 1973 ثم فصل من عمله فصلا تعسفيا لأسباب سياسية --ونائب رئيس تحرير مجلة (أفكار) الأردنية لعدد واحد -ديسمبر 1973.

أستاذ مساعد(أسس قسم الأدب المقارن)بجامعة قسنطينة، الجزائر، (1983-1987)--- فصل من عمله فصلا تعسفيا بتحريض من(الأفغان الجزائريين) وبتحريض من (الشيخ محمد الغزالي) بعد خطبة له ضد(أشعار المناصرة) في المؤتمر الدولي (جدوى الأدب في عالم اليوم) في مدينة (باتنة الجزائرية). وتم قرار الفصل بموافقة رئيس الجمهورية الجزائرية (الشاذلي بن جديد) ووزير الأديان (بوعلام باقي)-بينما اعترض على القرار رئيس الوزراء (عبد الحميد ابراهيمي) كما قالت حرفيا (جريدة الشروق) الجزائرية بتاريخ (29 جوان 2004.)

أستاذ مشارك ، بجامعة تلمسان، الجزائر، :(ساهم في تأسيس معهد الثقافات الشعبية)-(1987-1991.)

)مؤسس)، ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة القدس المفتوحة، (م.ت.ف)، عمّان، (1991-1994.)

شارك في الثورة الفلسطينية المعاصرة (1964-1994)، وحمل السلاح دفاعاً عن المخيمات الفلسطينية، في لبنان، وشارك في (معركة كفرشوبا،)- (الجنوب اللبناني)، يناير 1976).كذلك شارك

في(معركة المتحف) في حصار بيروت 1982.. وهو قائد (معركة المطاحن) في جبهة جنوب بيروت في حزيران 1976 من أجل رفع الحصار عن مخيم تل الزعتر.)

رئيس القسم الثقافي لمجلة (فلسطين الثورة)، الناطقة بلسان (م.ت.ف)، بيروت، يناير 1974-1977.

مدير (مدرسة أبناء وبنات مخيم تل الزعتر)-بعد تهجيرهم إلى (الدامور)، لبنان، 1976.

عضو القيادة العسكرية للقوات الفلسطينية – اللبنانية، المشتركة، (بالإنتخاب) -(جبهة جنوب بيروت)، 1976.

رئيس المؤتمر التأسيسي لحركة فتح، في جمهورية بلغاريا(بالانتخاب) ، ديسمبر 1977.

مدير تحرير (جريدة المعركة) (بالإنتخاب) خلال حصار بيروت، 1982.

سكرتير تحرير (مجلة شؤون فلسطينية)، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، 1982-1983---عاش حصار بيروت وغادرها بتاريخ 1-9-1982 على ظهر السفينة اليونانية (شمس المتوسط) الى ميناء طرطوس السوري. ثم غادر سوريا الى (عمان -الأردن)لكن السلطات الأردنية أبعدته بقرار رسمي مع زوجته وطفله الى تونس بتاريخ 10-12-1982. وسحبت منه الجنسية الأردنية حيث عاش في تونس عاما ثم انتقل الى الجزائر وعاش فيها (8 سنوات)--وسمح له بدخول الأردن بتاريخ 18-7-1991 بعد عفو ملكي عام وأعيد له جواز سفره.

رئيس اللجان الفلسطينية للوحدة الوطنية، (بالإنتخاب)-الجزائر (1985-1987).

عميد كلية العلوم التربوية، (وكالة الغوث الدولية)، عمّان، 1994-1995.ثم فصل تعسفيا من عمله: حين قررت رئاسة الوكالة (الأونروا)في (فيينا- النمسا) إغلاق الكلية تحت ذريعة نقص الأموال وتحقق السلام (اتفاق أوسلو) لكن العميد المناصرة أعلن احتجاجا رسميا على قرار الوكالة وانتقد الفساد في إدارتها العليا مما أدى إلى اتخاذ الوكالة قرارها الشهير (التراجع عن قرار إغلاق الكلية مع فصل العميد). وخرجت تظاهرات شعبية واعتصامات أمام مبنى الوكالة بعمان تطالب بعودة العميد دون جدوى- -ولكن بعد خمسة أشهر من فصل (المناصرة) من عمله - فصل (التر توركمان) المفوض العام للأونروا الذي كان قد اتخذ قرار فصل المناصرة - فصل من عمله (بتهمة الفساد).

ساهم في تأسيس (كلية الاداب بجامعة فيلادلفيا) منذ 1995 مع صالح أبو اصبع وأحمد الكراعين وغيرهما - وقد عمل فيها: نائبا لعميد الكلية وعميدا بالوكالة عدة مرات.. وهو نائب رئيس اللجنة المنظمة للمؤتمر الدولي العلمي السنوي لكلية الاداب..-- ورئيس قسم العلوم الانسانية واللغات الأجنبية -ورئيس قسم اللغة العربية وادابها -..ورئيس تحرير مجلة (فيلادلفيا الثقافية) حتى عام 2012. وهو أستاذ النقد الأدبي والأدب المقارن وعلم العروض ونظرية الأدب ومادة الأجناس الأدبية ومادة تذوق النص الأدبي والثقافة الجمالية والحضارة الاسلامية والحضارة الأوروبية وأدب فلسطين والأردن -- كذلك كان (المناصرة) عضوا في مجلس مركز اللغات- و عضوا في مجلس الجامعة - وعضوا في مجلس البحث العلمي للجامعة عدة مرات.- وعضوا في مجلس الدراسات العليا بكلية

الاداب.- ورئيس اللجنة الثقافية بكلية الاداب (1995-2005)-- -16 -مستشار جريدة (الفينيق) 1996-2000) الصادرة عن غاليري الفينيق -عمان.

17--مستشار مجلة (كتابات معاصرة) التي تصدر في بيروت منذ1996-حتى اليوم --18. مستشار (مؤسسة السياب الثقافية) لندن--19 .عضو الجمعية العالمية للأدب المقارن منذ مؤتمر باريس عام 1985- 20 عضو مؤسس ونائب الأمين العام للرابطة العربية للأدب المقارن (بالإنتخاب)منذ 1983-1992-- (21)عضو مؤسس في جمعية الحنونة للفنون الشعبية -عمان-(22)- عضو الجمعية الأدبية المصرية (1964-1970) القاهرة --(23)- مراسل صحفي في القاهرة لمجلة (الأفق الجديد) في القدس (1964-1966) وجريدة (أخبار فلسطين) في قطاع غزة حتى عام 1967--- (24) -ومراسل صحفي في القاهرة لمجلة (فلسطين ملحق المحرر) في بيروت -1965-1966- - (25) ومراسل صحفي في القاهرة لمجلة (مواقف) اللبنانية و(الهدف) الفلسطينية 1969-1970-- (26)عضو الهيئة الإدارية للنادي السينمائي العربي (بيروت- 1976)--(27)-عضو الهيئة الاستشارية للجنة السينما في مؤسسة شومان عمان 1992-- .

1المجموعات الشعرية

يا عنب الخليل، القاهرة – بيروت، 1968.

الخروج من البحر الميت، بيروت، 1969.

مذكرات البحر الميت، بيروت، 1969.

قمر جَرَشْ كان حزيناً، بيروت، 1974.

بالأخضر كفّناه، بيروت، 1976.

جفرا، بيروت، 1981.

كنعانياذا، بيروت، 1981.

حيزية عاشقة من رذاذ الواحات -عمّان، 1990.

رعويّات كنعانية، قبرص، 1992.

لا أثق بطائر الوقواق،- رام الله، 2000.

لا سقف للسماء،- عمّان، 2009.

)باللغة الفرنسية): مختارات من شعره بعنوان، (رذاذ اللغة)،ترجمة: الدكتور محمد موهوب، وسعد الدين اليماني، دار سكامبيت، بوردو، فرنسا 1997.

)باللغة الفارسية): مختارات من شعره بعنوان (صبر أيوب)، ترجمة الدكتور موسى بيدج، طهران، 1996.

)باللغة الإنجليزية): مختارات من شعره، ترجمة: الدكتور عيسى بُلاّطة، منشورات مهرجان الشعر العالمي، روتردام، هولندا، 2003.

)باللغة الهولندية): مختارات من شعره، ترجمة كيس نايلاند، منشورات مهرجان الشعر العالمي، روتردام، هولندا، 2003.

الأعمال الشعرية (في مجلّدين)، الطبعة السادسة، دار مجدلاوي، عمّان، 2006، (1086 صفحة.(

يتوهج كنعان، (مختارات شعرية)، دار ورد، عمّان، 2008.

.18توقيعات عزالدين المناصرة : (إبيجرامات شعرية مختارة)--الصايل للنشر والتوزيع عمان 2013.

الكتب النقدية والفكرية

--الفن التشكيلي الفلسطيني-منشورات فلسطين الثورة-بيروت -1975.

السينما الإسرائيلية في القرن العشرين، بيروت، 1975.

)جمع وتحقيق) – الأعمال الكاملة للشاعر الفلسطيني الشهيد – عبد الرحيم محمود، دمشق، 1988.

المثاقفة والنقد المقارن -،عمّان، 1988.

علم الشعريات، عمّان، 1992.

حارس النص الشعري، بيروت، 1993.

جفرا الشهيدة وجفرا التراث-، عمّان، 1993.

جمرة النص الشعري، عمّان، 1995.

شاعرية التاريخ والأمكنة – (حوارات مع الشاعر المناصرة)، بيروت – عمّان، 2000.

إشكالات قصيدة النثر، بيروت – رام الله 1998.

موسوعة الفن التشكيلي الفلسطيني في القرن العشرين (في مجلّدين)، عمّان، 2003.

لغات الفنون التشكيلية، عمّان، 2003.

الهويّات، والتعددية اللغوية، عمّان، 2004.

علم التناصّ والتلاصّ، عمّان، 2006.

السماء تغنّي: (قراءة في تاريخ الموسيقا العربية)، دار مجدلاوي، عمّان، 2008.

فلسطين الكنعانية: (قراءة جديدة في تاريخ فلسطين القديم)، منشورات جامعة فيلادلفيا، 2009.

قصة الثورة الفلسطينية في لبنان (1972-1982)، الدار الأهلية، عمّان، 2010.

تفكيك دولة الخوف، دار الراية للنشر والتوزيع: عمّان، 2011.

لا أستطيع النوم مع الأفعى،(حوارات مع الشاعر المناصرة)- دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمّان، 2011.

الأجناس الأدبية -دار الراية للنشر والتوزيع: عمّان، 2011.

امرؤ القيس الكندي، دار الراية للنشر والتوزيع: عمّان، 2011.

أكبر من دولة فلسطينية أقل من دولة كنعانية -، دار الصايل للنشر والتوزيع، عمّان، 2012.

بالحبر الكنعاني نكتب لفلسطين - 1964-1996)، الصايل للنشر والتوزيع، عمّان، 2012.

نقد الشعر في القرن العشرين، الصايل للنشر والتوزيع، عمّان، 2012.

25.الكف الفلسطيني تناطح المخرز الأمريكي-- الصايل للنشر والتوزيع عمان 2013.

المشاركة في (مراجعة وتحرير) كتب فكرية أكاديمية

العولمة والهوية – منشورات جامعة فيلادلفيا، عمّان، الأردن، 1998.

الحداثة وما بعد الحداثة- منشورات جامعة فيلادلفيا، 1999.

الحرية والإبداع- منشورات جامعة فيلادلفيا 2001.

4العرب والغرب – منشورات جامعة فيلادلفيا، 2003.

الحوار مع الذات – منشورات جامعة فيلادلفيا، 2004.

استشراف المستقبل – منشورات جامعة فيلادلفيا، 2005.

ثقافة المقاومة، منشورات جامعة فيلادلفيا، 2006.

ثقافة الخوف، منشورات جامعة فيلادلفيا، 2007.

)مراجعة وتقديم): كتاب – السيميائية: الأصول، القواعد والتاريخ، ترجمة: الدكتور رشيد بن مالك، دار مجدلاوي، عمّان، 2008.

كتب نقدية عن تجربته الشعرية والنقدية

محمد بن أحمد، وآخرون: البنية الإيقاعية في شعر المناصرة، منشورات اتحاد كتاب فلسطين، رام الله، 1998.

عبد الله رضوان، (جمع وتحرير): امرؤ القيس الكنعاني- قراءات في شعر المناصرة، المؤسسة العربية، بيروت – عمّان، 1999.

ليديا وعد الله: التناصّ المعرفي في شعر المناصرة، دار مجدلاوي، عمّان، 2005- (رسالة ماجستير)، جامعة قسنطينة، الجزائر.

د. فيصل القصيري: بنية القصيدة في شعر المناصرة، دار مجدلاوي، 2005- (رسالة دكتوراه)، جامعة الموصل، العراق.

د. محمد صابر عبيد: حركية التعبير الشعري في شعر المناصرة، دار مجدلاوي، 2005.

سامح حسن صادق: عز الدين المناصرة، وفنّه الشعري، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، 2005- (رسالة ماجستير)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

زياد أبو لبن، (جمع وتحرير): غابة الألوان والأصوات في شعر المناصرة، دار اليازوري، عمّان، 2005.

د. محمد بودويك: شعر المناصرة: بنياته، إبدالاته، وبُعده الرعوي، دار مجدلاوي، 2006- (رسالة دكتوراه)، جامعة فاس، المغرب.

د. محمد عبيد الله، (جمع وتحرير): شعرية الجذور، قراءات في شعر المناصرة، دار مجدلاوي، 2006.

صادق الخضور: التواصل بالتراث في شعر المناصرة، دار مجدلاوي، عمّان، 2007- (رسالة ماجستير)، جامعة الخليل، فلسطين.

مي عبد الله عدس: أنثى القصيدة في شعر المناصرة (رسالة ماجستير)، جامعة اليرموك، الأردن، أيار 2006، دار الكندي، إربد، الأردن، 2007.

عبّاس المناصرة: (أرشيفٌ أخضر لعزالدين المناصرة)، دار جرير، عمّان، 2008.

يوسف رزوقة(جمع وتقديم):(المناصرة) شاعر المكان الفلسطيني الأوّل، دار مجدلاوي، عمّان، 2008.

وليد بو عديلة: (شعرية الكنعنة: تجليات الأسطورة في شعر المناصرة)، (رسالة دكتوراه) جامعة عنّابة، الجزائر، دار مجدلاوي، 2009.

فتيحة كحلوش: بلاغة المكان في الشعر العربي الحديث: (سعدي يوسف، وعز الدين المناصرة)، (رسالة ماجستير)، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1997، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2008.

ساطي القطيش: الصورة الشعرية في شعر المناصرة، (رسالة ماجستير)، جامعة مؤتة، الأردن، ديسمبر 2006- (غير منشورة.)

فادي خطاطبة: الرموز التراثية في شعر المناصرة، (رسالة ماجستير)، جامعة اليرموك، الأردن، 2007- (غير منشورة.)

ريتا حدّاد: الشهيد والاستشهاد في الشعر الفلسطيني الحديث: (عز الدين المناصرة، محمود درويش، وسميح القاسم)، الجامعة اللبنانية، بيروت، 2008 – (غير منشورة.)

سالم عبيد سلمان:أبو محيسن):(المناصرة، شاعراً: دراسة في المحتوى والفن)، دكتوراه، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 2008(غير منشورة.)

د. فريال غزول، (إشراف): الفلسطينيون، والأدب المقارن: (روحي الخالدي، إدوارد سعيد، عز الدين المناصرة، حسام الخطيب)، منشورات قصور الثقافة، مصر، 2000.

د. حسن عليان (تحرير وتقديم): (عزالدين المناصرة هوميروس العرب)، دار الراية للنشر والتوزيع، عمّان، 2011.

زايد الخوالدة: صورة المكان في شعر عزالدين المناصرة، دار الراية للنشر والتوزيع، عمّان، 2012.

حيدر السيد أحمد: شعر عزالدين المناصرة، دراسة فنية، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة دمشق، 2011.

مريم السادات مير قادري: (المناصرة في النقد الأدبي الإيراني الحديث)- الصايل للنشر والتوزيع عمان 2013-(رسالة ماجستير -إيران.)

إيمان بن أوذينة: قصيدة النثر العربية : المناصرة أنموذجا-دار الصايل للنشر والتوزيع -عمان 2013-(رسالة ماجستير -الجزائر.)

د. عباس عبد الحليم عباس:(جهود عزالدين المناصرة في مجال الأدب المقارن) -(الأكاديميون للنشر والتوزيع) عمان 2012.

زياد أبو لبن(جمع وتحرير): (الحداثة الشعرية عند المناصرة)- منشورات الصايل عمان 2013.

د. فتيحة كحلوش: (الشعرية الفلسطينية: (عزالدين المناصرة ومحمود درويش)- منشورات الصايل 2013.

أمل محمد حمد العمايرة: توظيف الموروث الشعبي في الشعر الأردني الحديث: (عرار -عزالدين المناصرة- حيدر محمود)منشورات الصايل للنشر والتوزيع عمان 2013 -(رسالة ماجستير)جامعة مؤتة الكرك الأردن.

مشاركات شعرية في مهرجانات عربية وعالمية

--مهرجان فلسطين الشعري(مدير المهرجان)-بدعوة من نقابة المحامين المصريين -القاهرة 16 مارس اذار 1967.

-1مهرجان الشعر العربي، بدعوة من (مؤتمر اتّحاد كُتّاب فلسطين الثاني)، القاهرة، 1969.

-2ملتقى الشعر العربي الحديث الأوّل، بدعوة من (النادي الثقافي العربي)، بيروت، ديسمبر 1970.

-3مهرجان (المربد) الشعري الأوّل، العراق، 1971.

-4ملتقى الشعر العربي الثاني، بدعوة من (النادي الثقافي العربي)، بيروت، 1974.

-5مهرجان الشعر العالمي، بلاغويف غراد، بلغاريا، 1979.

-6مهرجان الشعر العالمي، بيلْغراد، يوغسلافيا، 1980.

-7مهرجان الشقيف الشعري، بيروت، 1981.

-8مهرجان الأيام الشعرية التونسية، يناير، 1983.

-9مهرجان قرطاج الدولي، صيف 1983.

-10مهرجان الشعر العربي، بدعوة من اتحاد الكتاب العرب، الجزائر، 1984.

-11مهرجان بسكرة الشعري، الجزائر، 1986.

-12ملتقى الأدب والثورة، سكيكدا، الجزائر، 1986.

-13ملتقى القصيدة الملتزمة، مدينة قالمة الجزائرية، 1987.

-14مهرجان (ذكرى معين بسيسو) الشعري، تونس، 1988.

-15مهرجان الشعر العربي، (بمناسبة تأسيس جمعية الجاحظية الثقافية)، الجزائر، 1989.

16-مهرجان الشعر العربي، أصيلة، المغرب، 1990.

17-مهرجان الشعر العربي، بدعوة من اتحاد الكتاب العرب، تونس، ديسمبر 1990.

18-مهرجان (فاس) الشعري، المغرب، 1991.

19-مهرجان الشعر العربي، (بدعوة من اتحاد الكتاب العرب)، عمّان، ديسمبر 1992.

20-مهرجان جرش الشعري، عمّان، 1993.

21-مهرجان تطاوين الشعري، تونس، 1996.

22-مهرجان الرباط الثقافي،المغرب، 1997.

23-مهرجان الربيع الفلسطيني، باريس، 1997.

24-مهرجان الثقافة الفلسطينية، مونتريال، كندا، 2000.

25-مهرجان شعراء البحر المتوسط الأوّل، الإسكندرية، 2003.

26-مهرجان الشعر العالمي، روتردام، هولندا، 2003.

27-مهرجان الشعر الإسباني، جامعة مدريد المستقلة، 2005.

28-مهرجان الزيتونة الدولي، سوسة، تونس، 2006.

29-ملتقى القاهرة الشعري الدولي الأول، 2007.

30-ملتقى القاهرة الشعري الدولي (الثاني)، القاهرة، 2009.

31-مهرجان سوق عكاظ الشعري، الطائف، السعودية، 2009.

32-مهرجان الشعر العالمي الأول، طهران، إيران، 2010.

33-مهرجان ملتقى النيلين الشعري الثاني، الخرطوم، السودان، 2012.

35.ملتقى القاهرة الشعري الدولي الثالث- 2013.

مقدمات وكلمات لمؤلفات عربية

1.صابر عبد الدايم (مصر): نبض قلبين، (مجموعة شعرية)، القاهرة، 1969.

2.توفيق زيّاد (فلسطين - 48): ديوانه، ط1، دار العودة، بيروت، آذار 1970.

3.نزيه القسوس (الأردن): يوميات حزيران (مجموعة شعرية)، عمّان، 1972.

4.راشد حسين (فلسطين - 48): أنا الأرض لا تحرميني المطر، (مجموعة شعرية)، بيروت، 1976.

5.ليلى فايد (لبنان): حوارات مع أطفال مخيّم تل الزعتر ، لبنان، (حوارات)، بيروت، 1977.

6.جواد الأسدي (العراق): مجموعة شعرية، صوفيا، 1980.

7.سلمان ناطور (فلسطين-48): أبو العبد في قلعة زئيف، (مجموعة قصصية)، بيروت، 1982.

8.أسعد الأسعد (فلسطين – الضفة الغربية): أنا وأنتِ، القدس والمطر (مجموعة شعرية)، رام الله، فلسطين، 1982.

9.محمد العوني (تونس): مملكة القرنفل (مجموعة شعرية)، تونس، 1984.

10.باسل طلّوزي (فلسطين): نشيد المرأة العابرة (مجموعة شعرية)، عمّان، 1991.

11.جميل أبو صبيح (فلسطين): الخيل، البحر والجسد، (مجموعة شعرية)، عمّان، 1993.

12.خليل السواحري (فلسطين): للحزن ذاكرة وللياسمين (نصوص) عمّان، 1993.

13.ضياء خضير (العراق): ثنائيات مقارنة (دراسات في الأدب المقارن)، عمّان، 1993.

14.عزيز السماوي (العراق): النهر الأعمى، (مجموعة شعرية باللهجة العراقية)، لندن، 1995.

15.عمر أبو الهيجاء (فلسطين): معاقل الضوء، عمّان، 1995.

16.كتاب (فخري قعوار: ثلاثون عاماً من الإبداع)، عمّان، 1996.

17.نزيه القسوس (الأردن): أغنيات للحب والوطن، (مجموعة شعرية) عمّان، 2000.

18.أحمد حازم (فلسطين): سياسون ومواقف (حوارات)، ألمانيا، 2000.

19.ضياء خضير (العراق): شعر الواقع وشعر الكلمات (دراسة نقدية)، دمشق، 2000.

20.محمد توفيق السهلي (فلسطين): موسوعة المصطلحات والتعبيرات الشعبية الفسطينية، عمّان، 2001.

21.صالح أبو أصبع (فلسطين): قصص بلون الحب (مجلد الأعمال القصصية)، عمّان، 2001.

22.فوّاز عيد (فلسطين): الأعمال الشعرية، عمّان، 2002.

23.رشيد بن مالك (الجزائر): السيمائية: الأصول، القواعد والتاريخ (ترجمة من الفرنسية)، الجزائر – عمّان، 2002 + 2008.

24.كتاب (خليل السواحري – قمر القدس الحزين)، عمّان، 2003.

25.جهاد الرنتيسي (فلسطين): سياسة الترانسفير الإسرائيلية، عمّان، 2003.

.26وهيب نديم وهبة (فلسطين - 48): كتاب الإنسان، (مجموعة شعرية)، عمّان، 2003.

.27هارون هاشم رشيد (فلسطين – قطاع غزة): إبحار بلا شطآن، (مذكرات)، عمّان، 2004.

.28أحمد أبو سليم (فلسطين): دم غريب (مجموعة شعرية)، عمّان، 2005.

.29هارون هاشم رشيد: الأعمال الشعرية، عمّان، 2006.

.30شاهر خضرة (سوريا): ديوان الأسماء، تونس، 2006.

.31هارون هاشم رشيد: أبو جلدي والعرنيط (أدب شعبي)، 2007.

.32صلاح أبو لاوي (فلسطين): الغيم يرسم سيرتي، (مجموعة شعرية)، عمّان، 2008.

.33محمد ديب (الجزائر): ألف مرحى لمتسولة (مسرحية)، ترجمة جروة علاوة وهبي، عمّان، 2007.

.34عبد الله مليطان (ليبيا): فلسطين في القلب (قصائد الشعراء الليبين عن مأساة ومقاومة الشعب الفلسطيني)، طرابلس، ليبيا، 2008.

.35عبد الرحيم محمود (فلسطين): الأعمال الكاملة (جمع وتحقيق وتقديم)، ط1، عام 1988، ط3، عمّان، عام 2009.

.36عبد الجليل الأزدي (المغرب): أسئلة المنهج في النقد العربي الحديث، المغرب، 2009.

.37وائل الفاعوري (الأردن): ماء الذهب (دراسة في علم الأنساب)، عمّان، 2012.

.38محمد سعيد مضية (فلسطين): هيكل الأبارتايد: أعمدة سرابية، سقوف نووية (دراسة)، رام الله، 2012.

.39المهدي عثمان (تونس): قصيدة النثر التونسية، (دراسة)، تونس، 2012.

.40خليل قنصل (الأردن): ديوان سالم القنصل (باللهجة الأردنية) عمّان، 2012.

.41روان السمان (سوريا): أحوال الياسمين -شعر -عمان 2013. 42.هارون هاشم رشيد: إبحار بلا شطأن -الجزء الثاني -عمان 2013. 43.هارون هاشم رشيد :حجارة السجيل -مجموعة شعلرية - عمان 2014.

جوائز، وأوسمة

.1جائزة (المركز الأول في الشعر)، في الجامعات المصرية، الجهة المانحة: رئاسة جامعة القاهرة، الجمهورية العربية المتحدة، 1968.

).2وسام القدس)، الجهة المانحة: اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، 1993.

).3جائزة غالب هلسا للإبداع الثقافي)، الجهة المانحة: رابطة الكتاب الأردنيين، عمّان، الأردن، 1994.

).4جائزة الدولة التقديرية، في الآداب، (حقل الشعر)، الجهة المانحة: وزارة الثقافة الأردنية، عمّان، 1995.

).5جائزة سيف كنعان)، الجهة المانحة: حركة فتح الفلسطينية، 1998.

.6جائزة (التفوق الأكاديمي، والتميُّز في التدريس)، الجهة المانحة: جامعة فيلادلفيا، 2005.

.7جائزة (الباحث المتميز في العلوم الإنسانية)، عن كتابه: (علم التناصّ، والتلاصّ) الجهة المانحة: وزارة التعليم العالي الأردنية، 2008.

.8جائزة القدس، الجهة المانحة، الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، القاهرة - يوليو 2011.

مؤتمرات ومحاضرات

.1تحليل سردي لِـ: (قصة إنسان حقيقي) لبوريس بوليفوي، محاضرة في (المركز الثقافي السوفياتي)، بتاريخ (1972/6/20)، عمّان.

.2تحليل سردي لِـ: (قصة الأصدقاء الثلاثة) لمكسيم غوركي، محاضرة في (المركز الثقافي السوفياتي) بعمّان، بتاريخ (1972/9/26).

.3الواقعية الخضراء: (محاولة في نقد الواقعية الاشتراكية)، محاضرة في (المركز الثقافي السوفياتي) بعمّان، بتاريخ، (1972/11/28).

).4باللغة الإنجليزية)، محاضرة بعنوان: (الأدب والسينما)، بالاشتراك مع الكاتب الروسي قسطنطين سيمينوف، والمخرج السينمائي الكوبي سنتياغو الفاريز، في (مهرجان لايبزج السينمائي الدولي)، ألمانيا، 1974.

).5سينما الثورة الفلسطينية)، محاضرة ألقيت في (مهرجان طشقند السينمائي الدولي)، أوزبكستان، (باللغة الإنجليزية)، 1976.

).6الفن التشكيلي الفلسطيني في النصف الأول من القرن العشرين)، محاضرة ألقيت في (براغ)، تشيكوسلوفاكيا، آذار 1977.

).7الموسيقا الفلسطينية)، محاضرة ألقيت في (سراييفو)، البوسنة، يوغوسلافيا، 1977.

).8الثقافة الشعبية الفلسطينية)، محاضرة ألقيت في صوفيا، بلغاريا، 1977.

).9الشعر الفلسطيني الحديث)، محاضرة ألقيت في بودابست، هنغاريا، 1977.

).10الرواية الفلسطينية)، محاضرة ألقيت في بيلغراد، يوغوسلافيا، نيسان 1977.

).11الثقافة الفلسطينية)، محاضرة ألقيت في سكوبيا، يوغوسلافيا، نيسان 1977.

).12صحافة الثورة الفلسطينية)، محاضرة ألقيت في زاغرب، يوغوسلافيا، 1977.

).13زمن جمال عبد الناصر: ما له، وما عليه)، محاضرة ألقيت في (المركز الثقافي)، لحركة الناصريين المستقلين، (المرابطون)، بيروت، أيلول، 1978.

).14عشرات المحاضرات الثقافية)، ألقيت في (صوفيا، العاصمة البلغارية) في الفترة (1977-1981).

.15محاضرة في (مؤتمر التعريب)، جامعة قسنطينة، الجزائر، مارس 1983.

).16صورة اليهودي في الشعر الفلسطيني المعاصر)، في (المؤتمر الدولي الأول للأدب المقارن)، جامعة عنّابة، الجزائر، أيار (مايو)، 1983.

).17الشعر والحداثة)، محاضرة في (مهرجان قرطاج الدولي)، تونس، صيف 1983.

).18ولادة القصيدة: قراءة سايكولوجية)، جامعة قسنطينة، الجزائر، ديسمبر 1983.

).19بيان الأدب المقارن: إشكالات الحدود)، محاضرة ألقيت في (المؤتمر الدولي الثاني للأدب المقارن)، جامعة عنّابة، الجزائر، جويليه، 1984.

).20جدلية الحبر والدم: مأساة واو العطف)، محاضرة في (ملتقى الأدب والثورة)، سكيكدا، الجزائر، أكتوبر 1984.

).21حضارة أريحا: نحن عربٌ كنعانيون)، محاضرة ألقيت في (برلين، ألمانيا)، 1984.

).22الثقافة الوطنية الفلسطينية: نصٌ مفتوح على العالم)، محاضرة ألقيت في (قاعة ليسنغ)، جامعة فرانكفورت، 1985.

).23المستشرقون، وفلسطين)، محاضرة ألقيت في (نادي الصحافة الدولي)، في مدينة (بون)، ألمانيا، 1985.

.24محاضرة بعنوان: (شعرية المقاومة)، في (المؤتمر الحادي عشر للجمعية العالمية للأدب المقارن)، جامعة الصوربون، باريس، 1985.

.25محاضرة بعنوان: (السينما، وإعادة إنتاج الواقع)، في (مؤتمر بانوراما السينما الدولي)، قسنطينة، الجزائر، ديسمبر 1985.

.26محاضرة بعنوان: (النص الأدبي، والتاريخ) في (ملتقى التاريخ، قالمة، الجزائر، 1986/5/2).

.27محاضرة بعنوان: (أثر فوكنر في رواية نجمة لكاتب ياسين)، في مؤتمر الرواية الجزائرية، قسنطينة، الجزائر، 1986/5/3.

.28محاضرة بعنوان: (عبد الحميد بن باديس، وقضية فلسطين)، في ملتقى ابن باديس الأول، جامعة قسنطينة، 1986/5/3.

.29محاضرة بعنوان: (التلذّذ بالتبعية، والإحساس بالعالم) في المؤتمر الثاني للرابطة العربية للأدب المقارن، جامعة دمشق، 1986/7/4.

.30محاضرة بعنوان: (التناصّ، والتلاصّ: منهجية جديدة للأدب المقارن)، في المؤتمر الثالث للرابطة العربية للأدب المقارن، جامعة مراكش، أكتوبر، 1989.

.31محاضرة بعنوان: (شعرية الأمكنة)، في المؤتمر التأسيسي لجمعية الجاحظية الثقافية، الجزائر العاصمة، 1989/11/20.

.32محاضرة بعنوان: (تحديث الحداثة: شاعرية النصوص، وشعرية الرغبات النقدية)، مهرجان أصيلة الثقافي، المغرب، 1990/8/5.

.33محاضرة بعنوان: (ذكرياتي مع تيسير سبول: دمٌ على رغيف الجنوبي)، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، أيار، 1992.

.34محاضرة بعنوان: (الشعر والإديولوجيات)، جامعة عمّان الأهلية، 1993/10/27.

.35محاضرة بعنوان: (مجلة الآداب البيروتية، 1953: التأسيس والحداثة)، في ملتقى تكريم مجلة الآداب، عمّان، 1994/7/30.

.36محاضرة بعنوان (معين بسيسو: مایاكوفسكي فلسطين)، مؤسسة شومان، عمّان، 1995.

.37محاضرة بعنوان: (ماهية الشعر، ومعنى الحداثة)، في مهرجان تطاوين، تونس، 1996/3/27.

.38محاضرة بعنوان: (إميل حبيبي بين أنصاره وخصومه)، غاليري الفينيق، عمّان، 1996/5/18.

.39محاضرة بعنوان: (التفاعل مع آداب العالم)، في مؤتمر التفاعل الثقافي، جامعة فيلادلفيا، 1996/5/20.

.40محاضرة بعنوان: (جدلية المكان والتاريخ في القصيدة)، مديرية ثقافة مدينة (مادبا)، الأردن، 1996/5/27.

.41محاضرة بعنوان: (حاييم وايزمان: كان يريد مراعي مؤاب، وسهول القمح في حوران)، جمعية يافا، عمّان، أكتوبر 1997.

.42محاضرة بعنوان: (جفرا الفلسطينية، وحيزية الجزائرية)، في مؤتمر (نساء ونصوص في الفضاء المغاربي)، قسم اللغة الفرنسية، جامعة قسنطينة، الجزائر، أيار (مايو)، 2000.

.43محاضرة بعنوان: (الثقافة الفلسطينية: من ثقافة المقاومة، إلى ثقافة أوسلو)، (باللغة الإنجليزية)، مونتريال، كندا، 2000.

.44محاضرة بعنوان: (الشاعر المستقل: خائفاً، ومخيفاً: المنع يُولِّد سحر المنع)، في (مؤتمر الحرية والإبداع)، جامعة فيلادلفيا، عمّان، 2001/5/15.

.45محاضرة بعنوان: (غسّان كنفاني: الهوية، والعالمية)، بدعوة من حزب الوحدة الشعبية الأردني، عمّان، 2002/7/10.

.46محاضرة بعنوان: (تقنيات السرد الشعري)، الأسبوع العلمي لكلية الآداب، جامعة فيلادلفيا، 2003/5/28.

.47محاضرة بعنوان: (المثقفون العرب والسلطة)، مجمع النقابات المهنية، عمّان، 2004/1/11.

.48محاضرة بعنوان: (التعددية اللغوية: إشكالات وحلول)، في ملتقى (اللغة العربية والهوية القومية)، جامعة (البترا)، عمّان، 2005/3/23.

.49محاضرة بعنوان: (الحداثة وما بعد الحداثة)، المدارس العربية النموذجية، عمّان، 2006/4/29.

.50محاضرة بعنوان: (جاذبية التلقي)، في مهرجان الزيتونة الدولي، سوسة، القلعة الكبرى، تونس، 2006/12/12.

.51محاضرة بعنوان: (العالمية تبدأ من شعر الهوية، وليس العكس)، في ملتقى القاهرة الشعري الدولي الأول، (9-2007/12/14).

.52محاضرة بعنوان: (القدس الكنعانية)، ندوة القدس، جامعة فيلادلفيا، 2009/10/20.

.53محاضرة بعنوان: (جدلية الفصيح واللهجي في الخطاب الشعري)، في الأسبوع العلمي لكلية الآداب، جامعة فيلادلفيا، نيسان، 2010.

.54محاضرة بعنوان: (إشكالات الشاعر ناقداً، والناقد شاعراً)، في مؤتمر النقد الأدبي الثاني، القاهرة، 15-2010/6/17.

.55محاضرة بعنوان: (مَنْ قتل الفنان العالمي الفلسطيني ناجي العلي، ومَنْ حرّض على القتل!!)، منتدى الفكر الديمقراطي، عمّان، 2010/7/22.

عن موسوعة ويكيبيديا من إقتراح الشاعرعزالدين المناصرة

الفهرست

المجموعة الأولى:

(يا عنب الخليل) – 1968:

1. قِفا ... نبكِ 7
2. في الرد على الأحبة 13
3. هايكو – تانكا 16
4. زرقاء اليمامة 17
5. وداع غرناطة 20
6. جفرا في سهل مَجِدُّو 23
7. غَزَلٌ إلى نخلة الملح 28
8. غزال زراعي 32
9. توقيعات 35
10. يا عنب الخليل 39
11. الأفعى 45
12. البابُ إذا هبَّتْ منه الريح 46
13. المقهى الرمادي 47
14. بين الصفا والمروة 51
15. ذَهَبَ الذين أحبّهم 53
16. أغنيات كنعانية 55
17. تكاذيبُ الأعراب 61
18. توقيعات مرئية 63
19. ناطوران 65
20. يا بعيدا 68
21. تحذيرات 70
22. وكان الصيف موعدنا 73
23. كنيسة القيامة 75
24. فروتا طائرٌ أخضر 78
25. الرحيل إلى حيث ألقتْ 82
26. قراءة أوّلية لطريق العين 84
27. خيانة 89
28. ملاحظات قبل الرحيل 90
29. أسوار 93
30. مقهى ريش 95
31. مطار قلنديا 98
32. خان الخليلي 100

33. عاصفة هندية حمراء 104

المجموعة الثانية:

(الخروج من البحر الميت) - 1969

1. قاع العالم 109
2. تأشيرة خروج 113
3. الخروج من البحر الميت 118
4. توقيعات 131
5. أضاعوني 138
6. برقيات دموية 142
7. مصطفى البدوي 143
8. مواصلات إلى جسد الأرض 147
9. محاورات الباب العالي 149
10. البلاد ... طلبتْ أهلها 154
11. دليلة 157
12. جنازة مقهى 160
13. هزج الليل 163
14. الأرض تندهنا 165
15. إذا تكسّرت سيوفهم 168
16. يذوب الثلج 170
17. طريق الشام 171
18. لسببٍ عاطفي إغريقي 175

المجموعة الثالثة:

(مذكرات البحر الميت) – 1969

1. مذكرات البحر الميّت 185
2. لي حارةٌ في القاهرة 195
3. مبادئ تترجرج كزماننا 200

4. مريم 202
5. خطبة أعالي الليل 203
6. وهل بقيت في المدينة، حدائق، أيها السيّد؟!! 215
7. غافلتكِ ... وشربتُ كأس الخليل!! 222
8. لا تغازلوا الأشجار، حتى نعود 229
9. نشيد الكنعانيات 240
10. الأرجوانيَّة 250
11. سجلّات البحر الميّت 252
12. رذاذ اللُّغة 268
13. فراشات متوحشة 273
14. أعالي كنعانيا 281

المجموعة الرابعة:

(قمر جرش كان حزيناً)- 1974

1. كم تكون المسافة؟!! 289
2. قمر جرش كان حزيناً 292
3. الحب لونه أخضر 297
4. رسائل متبادلة بيني وبين الموت 302
5. طريق البنات 305
6. أبو محجن الثقفي أثناء تجواله 307
7. توقيعات مجروحة إلى السيدة ميجنا 310
8. دادا ترقص على ضفة النهر 316
9. توقيعات في حفل التدشين 320
10. كنعان صابر لن يستنكر 322
11. وحيداً ذات مساء 328
12. تُقبل التعازي في أي منفى 330
13. القبائل 333
14. لا يؤمن جانبه 340
15. قولوا لمقبرة الشهداء ... ألا يكفيك!! 342

المجموعة الخامسة:

(بالأخضر كفّناه)- 1976

1. دموع الكنعانيات 347
2. نقوش الأنباط 351
3. إن كنتَ تُصدقني، كانَ بهِ 358

4. بالأخضر كفنّاه 361
5. سراج العشاق 365
6. ظلّ يركض حتى الرصاصة 367
7. يا أخضر ... إنهم يتربصون بك 373
8. مجرد وصف 375
9. أرى 380
10. سأعاتبك كثيراً يا أمي 382
11. راهب العزلة 385
12. أماكن 392
13. لن يفهمني أحدٌ غير الزيتون 398
14. صفصاف الدير 402
15. امرؤ القيس، يصل فجأةً إلى قانا الجليل 404
16. ألا يا هلا يا هلا بحبيبي 409

المجموعة السادسة:

(جـفـــرا)- 1981

1. جفرا أمّي، إنْ غابتْ أمّي 415
2. جفرا لا تؤاخذينا 421
3. بين (بودا) و (بستْ) 428
4. آ ...وي ... هـا 430
5. كيف رقصت أم علي النصراوية 434
6. لا تدفنيني هنا 445
7. الطالع من وادي التفاح الأشقر 447
8. جفرا، دثّريني، لأنام 448
9. الحرب والسلام 453
10. في مدينة، تدعى سنتياجو 454
11. حنينٌ يفلق البحر 457
12. وصيّة 459

المجموعة السابعة:

(كـنـعـانـيـاذا)- 1983

1. عيد الشعير 463
2. رعدية البُندق 466
3. غزال أبيض 470
4. حجر مؤاب 472
5. عيد الكروم 475
6. جاك بريفير الأول 478
7. مريام الشمالية 481

8. فخاخ لاصطياد الوعل 483
9. تشمع كبد إيكار 487
10. في حفل عائلي بهيج 489
11. ضع نبيذاً في الجرار 491
12. وسقطت - سهواً - في محبّتكم 494
13. صخور آندروميدا 497
14. غيمة ساحلية 501
15. أوَّل الكلام 503
16. سأخبركَ غداً إن استطعتْ 506
17. قداستُها 509
18. سراويل كنعانيا 511
19. خُذ جرعة لليقظة 515
20. بدو بحريون 518
21. يمامة يا يمامة 521
22. على سبيل المثال 523
23. فاتناتٌ... حتى الفتنة 524
24. الجاشنكير 526
25. أبو النحل النباطي 529
26. أزرق يا أزرق يا أزرق!!! 530
27. تاريخ الزجاجات 532
28. انشقاقات الغيتو 534
29. جنازة الإيقاع 537
30. لا يذهبون ولا يجيئون 540
31. حجر الفلاسفة 542
32. الناصري 544

المجموعة الثامنة:

لاأ... حيزيَّة - 1990

1. مطر حامض 549
2. نص الوحشة 557
3. يتوهَّج كنعان 564
4. لاأ ... فاطمة 579
5. لاأ حيزيّة ... (عاشقة من رذاذ الواحات) 582
6. روسيكادا ... قبل المطر روسيكادا ... بعد المطر 593
7. مدينة تدور حول نفسها 606
8. المُرجئة والمؤقت 615
9. مُناكَفة البحر 618
10. نرجس 619
11. مكتب 620
12. زيارة 621

13. كريستال 623
14. اغتيال 624
15. حسّونة 626
16. جذع مشترك 628
17. جنازة البحر الميّت 631
18. مَرْيَمات بيت لحم 632
19. فندق 635
20. مطرُ الخناجر والحقولْ 637
21. مِقْلاع 638
22. حجر كنعاني 639
23. يريدونكمْ 640
24. لَهُم ... ولنا 641
25.حصار قرطاج 642

المجموعة التاسعة:

(رعويات كنعانية)- 1992

1. نصائح 655
2. قصيدة جهوية 658
3. دخان الأقاويل 661
4. الحبر والقصبة 663
5. غابة قلبي 665
6. البحر المُتَدارِكْ 669
7. إلى البحر خذها 672
8. هاجمتني الضباع 675
9. وقال رحمه الله ... في وصف البحر الميت 678
10. دار عمتي جليلة 681
11. في كريت حيث أهلي 683
12. عمتي آمنة 685
13. نرجسة 688
14. تشكيلات رعديّة 690
15. عاصفة من فلفل أكحل 692
16. مفاوضات 699
17. وجهة نظر 701
18. احتمالات 703
19. وسواس أبيض 705
20. رخويات طنجة 707
21. أحد يدقّ الباب 715
22. قبر في لندن 717
23. ترتيبات 724

المجموعة العاشرة:

(لا أثق بطائر الوقواق)- 2000

1. قصيدةٌ لا قناديل فيها ولا أسئلة 729
2. اليمامُ الذي غرَّبا 736
3. كلبةُ هذه السيِّدة !!! 739
4. موشّحُ سقفِ السيل 741
5. منامات الليلة القادمة 745
6. تعلَّمْ حكمة النسيان 746
7. لا أثقُ بطائر الوقواق 749
8. شطَّ ريقي عليها 757
9. ليلة الافتتاح 760
10. ما للقصيدة لا تُطاوعني !! 763
11. سوالفُ الوثنيّ 767
12. هكذا، هكذا، يا عزيزي 772
13. بعد البحيرة ... مطعم متوحّش 774
14. بأغنيتي أسحر العناقيد 777
15. حلزونٌ أنيق 780
16. ضفدع الجاليري 782
17. عاصفة عصافير تلمْسانيَّة 784
18. مثل قدّيس 786
19. صباحٌ أصفر يليه ثلج 788
20. طفولة هذا السياج 790
21. توقيعات 790
22. شكوى أمام دالية الأرجوان 800
23. قصيدي زعْلاني 807
24. مكاناً أكنعِسُ فيه 818

المجموعة الحادية عشرة:

(لا سقف للسماء)- 2009

1. البنات، البنات، البنات 825
2. وجهك مألوف لدي 832
3. طريقُك خضراء 835
4. شروط التهدئة 842
5. دي ... يا حصاني ... دي 844
6. القدس عاصمة السماء... القدس عاصمة الجذور 848
7. الجندي، الذي أصيب بالحُمّى 853
8.سماحة السيّد الجنوب 855
9. قراءة في كفّ فاطمة 859
10. أشجار بَتولا 862
11. دَرَج الجامعة 866

12. صنوبرة 869
13.مقصوفة الرقبة 871
14. وقال رحمه الله، وهو في السبعين، يرثي حصانه 873
15.موشَّح الانصراف 876

كم تكون المسافة

تظلَّ القبائلُ تبكيكِ حتى الشروقْ
وأنتِ على الرمل، تَمْرُ الرحيقْ
ومن أين في البرد، نأتي بأجنحةٍ للحمام المُهاجر
في رحلة الألف ميلْ
وَمِنْ أين نأتي، بثوب الكروم المطرّز
في هذه المدن الساكنة؟؟
ومن أين نأتي، بقشٍ لعرس البتولْ؟
ومن أين في الثلج، نجلب عاصفةً، ضدَّ هذا الذهولْ؟؟
ألا تعرفين بأنّ الحريق يُذيب الحديدْ
لقد قتلوكِ ... وإنْ نشرتْ نعيك، الصُحُفُ الميّتة
ألا تعرفين ابتسامتها الباهتة.!!!
سمعتُ القبائلَ يا بُلْبُلي، تحتفي بحُطام الجفافْ
رآها الرذاذُ، وشَمَّ جديلَتها، ثمّ خافْ
رفيفُ الفراشاتِ، قاسَ المسافاتِ،
ثمّ رأى أنَّها ستَطولْ
فراحَ يُوزّعُ أجزاءَ جُثمانِها في الحقول.
كم سيبقى من القهر، من حِصَّتي يا يسوعْ
سوف أرسم فوق ذراعي سهاماً تذكّرني بالسهامْ
صلبوا أهلها فوق نار الجذوعْ.
سوف أسأل هذي القبائل قبل الدخولْ
كم تكون المسافة بين دمشق وباب الخليلْ؟؟
كم تكون المسافة بين صراخ الوليد، وبين اصفرار العُروقْ؟
آهِ، يا طفلة القهر، هذا زمانٌ فظيعْ
يجرحُ الصمت، يمتصُّ من دمنا خضرةَ النهر،

قبل الرجوعْ
كم سيبقى من القهر، من حصّتي ... يا يَسوعْ؟!!
أيها الرعويُّ الذي يركب الآن مهرته في السهولْ
تاجُ شوكٍ وسَعْفُ النخيلْ
قُلْ لنا: كيف نمشي، إذا طاف هذا الحَرَسْ؟!!
كيف تجلبُ مريام، هذا المساء، حليبَ الرضيع؟!!
كيف يصمت هذا الجَرَسْ.
يا عروس البحار،
على كل شطٍّ بكتْ طفلةٌ لرحيل النوارس،
صاح غريقْ:
- نحن من نزرعُ الرمل، لتنبت صحراؤهُمْ شجراً وبريقْ.
نحن من نركل الرمل – لا عاش فينا النعامْ
نحن يا طفلةَ الموت، نطرح للعاشقين السلامْ
نحن مَنْ نشرب الدمع، قبل الطعام وبعد الطعام.
غير أنَّ لصوص الطريقْ
سَحَبوا خنجراً في الظلام، وقصّوا شفاهكِ،
حين صار لنا مطر وبروقْ
كي يكون لهمْ وحدهمْ، ثمرٌ ورحيقْ
آه، يا وردةً في الرمال تموتُ،
وتبكيكِ هذي القبيلة حتى الشروقْ
كم تكون المسافةُ يا نجمةً من عقيقْ؟!!
كم تكونُ المسافةُ بين الرحيل وبين القِصاص؟!!

تمر جَرَش كان حزينا

آنَ يا منـزلاً عند باب الخليلْ
أنْ نقول الذي لا يُقالُ، الذي لا نقولْ

أنْ تَدِبَّ البراءةُ فينا ونَخْضَرَّ،
يطلعُ برقُ الجذور، وعَصْفُ الشَمولْ
آنَ يا منـزلاً عند باب الخليلْ.
حيثُ كان الذي كان،
حين دفنّا صبايا الينابيع في التلّة العالية
شاهداً كان هذا الهواء
شاهداً كان عرجونُ هذا النخيلْ
شاهداً كان هذا الحَجَرْ
القلاعُ العتيقةُ كانت سُيولاً من الأرجوانْ
السماءُ التي ... رَعْرَعَ الدمع في مَحْجريها يجولْ.
لم تكن للخيول رؤوسْ
لم يكن للرؤوس عيونْ
لم يكن في العيون ندىً في الحقولْ
لم يكن للندى شَجَرٌ أو ثمرْ
الجنازةُ كانت بياضاً من الملح، كان البياضْ
صرخة القُبَّرةْ
لم تكن في المدى مقبرةْ
الرمادُ يغطي تعاريج هذا الرحيل الطويل الطويلْ.
آن يا منـزلاً عند باب الخليلْ
أن تطير اليمامة من أسرها، فوق جسر الهوى!!!

- نوغلُ في حقل الزيتون الأكحل،
نفرحُ، إذْ نهجر موسيقا الباراتْ
عاصمة الأعمدة النورانية نادتني: يا كنعان الغاباتْ
وشوشني الثعلبُ: يا هذا مَرُّوا تحت الصفصافة في الليلْ
تركوا رُضَّعَهُمْ في أحضان غزالات البريَّة.
صدّقتُ البلبل، حين اعتدلتْ قامتُهُ، وروى لي:
لم تكن الغابة دائِمة الخُضْرةْ
لم يكن النهر عميقاً في أغوار الروحْ
أخذوا شاراتٍ من طمي النهرْ
أخذوا سيماهمْ، تركوا دمعاً وجروحْ.
نتنسّمُ رائحة العشبِ، قريباً من سدٍّ مكسورْ
ننسى أصواتَ الباعةِ في أسواق النهب، وننسى
في هذا الحقل المجنون، ضجيجَ العرباتْ.
كلّمتُ السَرْوَةَ في أعلى قلبي، أشعلتُ الحطبَ حنينا
ثمّ سألتُ البلّوط القاتم عن تلك الخطواتْ
فازدادتْ ذكراهُمْ في الصمت رنينا.
كان رنينُ القاع يلاحقني في الأغوار
- لا تشربْ، لا تشربْ، لا تشرب هذي الأخبارْ
تصفرُّ عروقك في ساح الدار
فتّشتُ صنوبرةً في الغار، وجرّحتُ الأحجار
ثم سألتُ رصاصات مرميَّة:

هل تركوا رمزاً محفوراً فوق جذوع الأشجار؟!!
- لا تسأل يا هذا ... النجمةُ تهطلُ أسراراً في حقل الأسرار
قالت لي حبَّةُ بلّوطٍ جفّتْ وعلاها الشيبُ،
اشتاقت للطوفان الأخضر ... والأشعار.
سوف أحكي وأحكي وأحكي،
وإلاّ فقدتُ الصوابْ
عابراً صرتُ في مَهْمَهٍ من رمالْ
بعدما عبروا فوق نهر العذابْ
عابراً نحو نبعك، طُفت المدائن، عُدتُ أشيل الإيابْ
عابراً صرتُ في مُدُني، غجريَّ الثيابْ
عابراً يا دموع الرمال التي صَوَّحَتْ
عضَّها في الغيابْ
رجالٌ لهمْ في الجباهِ قرونْ
ولهمْ في الشطوط نساءٌ يُضاجعن رُمْحَ الغريبِ،
ويُقْردنَ أثداءهُنَّ الجميلات للعابرينْ.
عابراً يا أميرة كلّ الشطوط البعيدةِ،
هل يولد العشبُ تحت البساطير، هل يعبر العابرونْ؟!!
يا نساء القبائل
طرّزنَ هذا الشهيد على شجر القلب،
فوق جذوع الزمان الجديدْ
يا نساء القبائِل
سجّلن أعمالهمْ ... والشهودْ
يا نساء القبائِل
ودّعنَ كنعان، قُلنَ لأطفالهِ ... سيذوبُ الجليدْ
يا نساءَ القبيلةِ، أرضعنَ أطفالكنَّ حليبَ النشيدْ
يا نساء الجبال البعيدة، مرسومةً في الأفُقْ
يا نساء التمزُّق قبل الوصول إلى النهر، عَبْرَ السماءْ
يا نساء التباريح والبوح في الغُرف المغلقة
يا نساءَ حمام الرسائل، والرمز، والشرفة المُقْفَلَة
سوف أرسم هذي الوجوه الحزينة في قلب هذا التراب.

- يا هِلي - يزحفُ الرمل نحو المدينة، يأكل منّا العظامْ
يا هِلي - يا اخضرار الحقول التي لا تنامْ
يا هِلي - عَبقُ النعنع الحجريّ مع الفجر،
يحملُ منكمْ ... سلامْ
يا هِلي - وثلوج الشِتا، شَلَّعتْ شجر الحب في
معمعان الزمان الرديءْ
يا هلي - تتساقط منّا ثمار الكلامْ
يا هلي - إنّهم يعبرون هنا، يقطعون السهوبْ
يا هلي - قد دفنّا الجميلاتِ، حين عَبَرنَ المياه
يا هلي - إنَّ بيروت في دمنا، إنْ سكنتمْ بها
قبّلوا نحو باب الخليلْ ... يا هلي.

شمّلوا باتجاه بحار الجليلْ ... يا هلي
يا هِلي، يا هلي، يا هلي.

- آنَ يا منـزلاً عند باب الخليلْ:

- أنْ نرمي حجراً في عين المنفى
ونَرُدَّ الخيل الجامحة الصفراء.!!!

الحبّ ... لوحةُ أخضر

- [يا عَمْ ناظمْ]:[1]
- أتكسَّرُ شوقاً، لمّا يأتيني صوتُكِ في صُبحٍ مسحورْ
أسمع خطواتكِ فوق الدرج الحجريّ المكسورْ
طقطقةُ الكعب الأسودِ، رجرجةُ الخاصرةِ، أزيزُ النارْ
في قلبي، يَخْضَرُّ العشب الناشفُ، تنهمر الأمطارْ
مَنْ جاء بوهج الغاب إلى نافذتي السحريَّة؟!!
من جاء بجيران البحر إلى شجر المحميَّة؟!!
من نسيَ الدُرّاق السريَّ على طاولة البار؟!!
من أوقد قنديل البحر على صدر الجنيَّة؟!!
الهجراتُ الدمويَّه
نُقطٌ سوداءُ على فخذ الحَيَّة
أشرعةٌ في صحراء الوهم برأسي، وهواجسُ نَّيَة
شبقٌ في كحل العينين، وفي رأس قلاع منسيَّه
أم أنَّ ضلوعك كهربةُ التنّورْ
أتكسَّر شوقاً، لمّا يأتيني صوتك في القول الدمويْ.
يا عَمْ ناظمْ:
- تحمل مصباحك والشمسُ على القيعان تجولْ
أمس رأيتكَ في اسطنبولْ
أمس سمعتك في عتمات السجن تقولْ:
لو كنتُ شعاعاً في الليل القاتِمْ
لذبحتُ الفقر الكلب، وأعدمتُ الحَشَرات
في هذا العالمْ!!!

---

[1] الشاعر التركي ناظم حكمت .

يا عَمْ ... ناظمْ
لو كان العاشق في هذا الصمت المغلولْ
يتنفس في هذي الصحراءْ
أو يشرب من بير الكرم الجبليّ الشاسعْ
أو يسمع وَقْع خُطاها في سفح القلب تغني
لاجتاحتْ أشواقي صحنَ الدارْ.
الفعل المقبل سوف يكونْ
فلنقتلْ بعض فواصل هذي الكلمات الحمقى.

- أجلسُ في المطعمْ،
كيما ألقي آلامي فوق الطاولة الخرساءْ
أتلصصُ نحو امرأةٍ من عنب البحر
أنفُثُ آهة حزنٍ عرجاء
تتلوّى كالثعبان الأرقط،
ثم تطير على حيطان المطعمْ
يبصرني النادل في صمتي أتكلمْ
يسألني، إنْ كنت بكيت رحيل الأشياءْ
يا سيّدُ، لن تأتي ... هذا خطأ شائعْ
يا سيّدُ: أستحضرُ صورتها في هذا الوقت القاسي
يا سيّد: أنتظر الصوت الرائعْ
طقطقة الكعب الأسود، فوق الدرج المبهورْ
أتَحسَّسُ كاسي المكسورْ
فوق الطاولة الخرساءْ.

- يا ذات الكعب الأسود،
قُدّامكِ دربٌ سالكْ
أعشق فيك الأخضر في العينينْ
تمشين كتفعيلة بحر المتداركْ
فأحبّك كالنهر الراحل نحو الشطآن الورديَّة
وأحبّكِ كالطفل إذا اشتاق لثديي سيّدةٍ غابت
في الزمن السالفْ
وأحبّك كالسفر على الغيم ... دخول مطارات المنفى
وأحبّك كالجائع لو أمسك بالخبز الناشفْ
وأحبّك كالمؤمن لو لاقى ربَّهْ
وأحبك كامرأةٍ ولدتْ طفلاً بعد دهور العُقْم الصمّاءْ
وأحبّك مثل سجين، قابلَ في باب السجن حبيبَتهُ،
بعد قرار الإخلاءْ.
الليلة أقفرت الباراتْ
رغم ضجيج سُكاراها
الغيم الأشقر والموج وقعقعة العَجَلاتْ
رحلتْ في وادي الجوزْ

وغزال الرنّة، حيّاها
فطفقنا نصطاد البطّ البريَّ من النهر المالحْ
الواحةُ من فرح رقصتْ لمـّـا أسكرناها
طرطشتُ الماء على سرب نساءٍ جوريّاتْ
قمرُ الماوردِ يُرشرشني تحت غطاء النخلة
أزرقُ، أزرقُ، يا أزرقْ
أسبح في بحر العَمْبَقْ
أسبح في فيروز الأفق الممدُودْ
أزرقُ، يا أزرقُ يا أزرقْ
أمشي من واحات القصَب إلى المفرقْ
قالت لي: دربك يا هذا من عوسجْ
وأنا بنتُ التوت الأحمر!!!

- لكنْ – يا سيّدتي – سأقول الحق، ولو قصّوا عُنُقي:
نهدان من التوت على شرفات زرقاءْ
مدّي كفّيك إلى حُرَقي
مدّي منديلك واعترفي
إنّي من طينٍ ... وجنابكِ من خَزَفِ
أتفتّل كالماء الطيّب أشجاراً ونباتْ
ويمرُّ الزمن الأسود
تنكسر الفتنةُ في سنوات.
ولهذا أقسمُ بالطير الأخضر في صدري
بأبي في البستان، يُقصقصُ أغصان الدُرّاقْ
وبأمّي تنسج أشواقاً للغائب عن قاع الدار
أقسمُ يا غالية العينين، ويا طاهرة الدقاتْ
لن يفلت قلبي من فخّكِ، لن يُفلت قلبي.
حتى لو صرتُ رماداً مرميّاً في آخر عُمْري.

لكنْ يا سيّدتي لي شرطٌ واحدْ
شرط واحدْ
أن تزني طقطقة الكعب الأخضر، فوق الدرج المكسورْ
ذلك أنّي، سأخاف عليكِ من الشوق المبهورْ
في صدري، يعلو، كالقمر المنثور
من فوق مزابل قريتنا البيضاء الدورْ.
- حينئذٍ سأحبك يا غالية عندي،
فوق سطوح الدورْ
في الليل الموتورْ
يتدفقُ من قلبي بحر النورْ.

رسائل متبادلة ... بيني وبين الموت

كاتبتُ الموت وكاتبني هذا الأسبوعْ
عانقتُ الموت وعانقني قرب الينبوعْ
قاتلتُ الموت وقاتلني يا سَعْف يسوعْ.
أصغيتُ إلى وقْع خطاهمْ، وهي تجوب شوارع روما،
تلتفُّ بأقنعة الأسرار
دقَّ الجرسُ الهاجس في صحراء القلبِ،
ذكرتُ السيّدة الخضراءْ
في جبل الصبر الأصفر، تذكرني في ميدان الساعة
فلقد رفَّتْ عيني اليُسرى، أعرف أنَّ الباعَة
في آخر هذا الليل، يموتون على أرصفة الأحياءْ
الليلة أذكر ما عَزَّ من الأشياء
الليلة أطفح بالهمّ الآتي من سفن الطوفانْ
تصبح أشجار الزينة قاتمة في روما المذبوحة
أعرف أنّكِ في هذا الوقت تذوبين حنيناً للعرس الوهميْ
لبطاقاتِ اللغة العرجاء وطيف الدوريِّ الممنوعْ.
تمضين إلى شجر الموسيقا تحت الكرز البريْ
أسمع وقْع خطاهمْ حول نوافيرك يا روما الصمتْ
في بعض شوارعك الصفراء،
الثلج على الأشجار يغازلني.

- إلبرتو ... يروي لي قصّة طير الوقواقْ
ليعزّيني في ليل الأرصفة الخائفة العرجاءْ
إلبرتو ... قبَّعة من قشٍّ مبلولٍ في قنوات الماءْ
إلبرتو ... يلحقُها بصفيرِ فتّانٍ في الأسواقْ
ثمّ ينارديها ويُناغيها، يستدرجها للمقهى
ناداني ... أأراك صباحاً قرب المقهى؟!!
شوَّحتُ بكفّي، فابتسم عجوزُ العصيانْ
إلبرتو، إلبرتو، إلبرتو، إلبرتو.
كاتبتُ الموت وكاتبني قرب الينبوعْ

عانقت الموت، وعانقني هذا الأسبوعْ
قاتلتُ الموت وقاتلني هذا الأسبوعْ.
- جاءوكَ مساءً ورأوا في عينيك البحر الوحشيَّ الملدوغْ
لمّا عرفوكْ
فرحوا، دبَّ الرعبُ الأصفر فينا، لـمَّا عرفوكْ
قرأوا فوق سريرك أشعاراً من عنب الروحْ
هل ترقد وحدك في روما، لا ينتبه البوَّاب لجثّتك المرميَّة
فلتزحفْ في هذا الليل الموحش نحو الشطآن الرمليَّة
احضُنْ عشب بحيرات الكَسْدَرةِ اليومية
مرّغْ أنحاءك في الرمل السحريّ، اغمسْ وجهك في الماءْ
تأتيك على الشطّ حماماتٌ، تُعطيكَ رموزَ الساحات الحجريَّة
لم تقرأ صحف الأمس الموبوءْ
لن تلمح في المانشيتات إشاراتِ البوح المذبوحْ
لفلفتَ الجسد الذاوي، بقصيدي، ومضيتْ.

- الليلة أجلس في زاوية المرقص منكسراً،
فلقد كانت ليلتُنا مُرَّةْ
وخليلُ بنُ سلامَة، قال بأنَّ المرَّة، آخر مَرَّة
وبكى مثلي مدن الصحراء المُغْبرَّةْ
فلقد شاهدنا خيل الجامعة مع الأضواء المُحْمرَّةْ
تمتصّ ضلوعك من تحت الأرجُلْ
وخليل بن سلامَة، يغلي حزناً كالمرجلْ
ثمّ تشابكت الأيدي في المرقص،
ثمّ تعانقت الأرجُلْ.

- وأخيراً:
يا موتُ، ألا تتركْ أهلي
يا موتُ، ألا تترك أهلي
يا موتُ، ألا فاترك أهلي

طريق البنات

احفروا لي هناكْ
قرب دير الملاكْ
حفرةً ... واملأوها نبيذاً، وتمراً، وقاتْ
تحت دُرَّاقةٍ، صوتها في العروقْ
وادفنوا جثّتي، في طريق البنات
قبل شمس الشروقْ
ستمرُّ الوحوشْ
ستمرُّ النساء اللواتي لبسنَ الحِدادْ
حاملاتٍ دمي في زهور الصلاة.
احفروا لي هناكْ
حفرةً في البقيعْ
ثمَّ غطُّوا ضلوعي، لئلاَّ أموت من البرد، تحت الصقيعْ

ثمَّ لا ترفعوا ساعديْ
سَتَحِنُّ الجنادب يوماً عَلَيْ
الزنابقُ مختالةٌ سوف ترفع ثوب الخضوعْ
الثعالبُ سوف تمرُّ هناكْ.
احفروا حفرةً للكلامْ
واغسلوها بسيل الدموعْ
فأنا إن صحوتُ أجوعْ
مُدُنٌ كالشوارع، لا تستطيع السكوتْ
رغم هذا وذاك، تموتْ.
مات فيَّ البكاءُ الأصيلُ المطيرْ
عندما يتساوى الرقادْ
في رماد النذور الوثير، مع النوم فوق السريرْ.
احفروا لي هناكْ
قرب دير الملاكْ
حفرةً ... واملأوها نبيذاً وتمراً وقاتْ
وادفنوا جثّتي في طريق البناتْ.

أبو محجن الثقفي ... أثناء تجواله

يُعادُ (أبو محجن الثّقفيُّ) إلى سجنه، كي يتوبْ
يُسجَّلُ تاريخُ عصيانهِ في الحقائب،
تُكتبُ عنه التقاريرُ،
يُمنع من شمّ عطر الورودْ
نقرّر كيف اغتيال هويّتهِ في صباح الجَليدْ
يُعاد إلى كهفهِ بالقيودْ
تُحاصرهُ الشائعاتُ، ويُسألُ عند الحدودْ:

- (محروقةٌ سُفُني ... من كثرة العصيانْ
مجبولةٌ مُدُني ... بالقشّ والزوّانْ.)

- ولكنَّهم حمَّلوه الشظايا التي عُلِّقتْ في شراييهِ كتباً،
صبغوها بلون الشقائق، تحمل طعم الخلودْ
أتيتُ إليكِ، اقبليني، وهذي عيوبي، وهذي سلاسلهمْ في الزنودْ
أتيتكِ، هذي كراريسهُمْ، سأبول عليها، وأرمي بها في المياهِ،
وفي وطن المزرعة
(حِذائي) إذا اشتدّتِ الريحُ
يا سيِّدَ الآخرينْ
إذا هبَّت المعمعة
سيوفٌ تُقعقعُ،
تخلع رأسكَ، والجَعْجَعَة
فإنْ رُمْتَ بابَ التفاوض،
لن تتفاوضَ إلاَّ معه.

أجوب البلاد، أحاور أطلالها الصامتاتِ،
هُنا زمن صارخٌ كالأفاعي المرقطة النافرةْ
أجوب البلاد، أسامر فيها مغاورها، وحقولَ الذُرَةْ
حبيبي الذي قطع الأرض، يبحث عنّي، أما
للغريبين، بقعةُ وهْمٍ، يموتان فيها، ألا مقبرة!!!

بلاد القذى والأذى والصديدْ.
(حذائي) سيرفعكُمْ عاليًا، عاليًا،
يا عبيد العبيد.
تدحرجتُ من رمل وادي الغضا، وطُردتُ من السفح،
صرتُ خليعاً، أطارد أذناب شيخ القبيلةِ،
تجَّارها العائدينْ
تدحرجتُ في واحةٍ، همتُ يوماً بغزلانها النافرات من الصائدينْ
إذا جُعتُ آكُلُ رأس سميري
أو اشتقتُ للكاس، أذبحُ صاحبَ حانتنا المُفْفِرَةْ
أجوب البلاد، أسامر فيها، مغاورها، وحقول الذُرَة

(محروقة سُفْني ... لأنني بركانْ
مجبولة مُدْني ... بالقهر والحرمان).

- سمعتُ النساء يقلن لها: أطلقيهِ،
ففي وجهه توبةٌ كصلاةِ الرسولْ
رأيت وحوش البراري تصيحُ: إذا تاب فلتُطْلقيهِ،
ففي صدرهِ عنبٌ من جبال الخليلْ
أنا من أقام صروحاً من الشعر عن عنبٍ للمديحْ
أنا من رأى، قبل أن يفعل الآخرونْ
أعود إلى منزلي في الصباح الصبوحْ
وليس لنا منزلٌ، غير هذا الصفيح
أنامُ على دِكَّةِ الفقر، في رأس هذا الفضاء الجميلْ

أعاقر خمر الرفاق، أنام إلى مطلع الفجر،
أبكي بكاء الكهولْ
أعاتب هذا القتيل.
وأبقى هنا لاهثاً، باحثاً عن سيوف العشيرةِ،
في غبش الليل قرب ينابيع وادي الصدأ
تدقّقَ سيلُ الخطاب على منبر الشعراء، فقالوا: نَعَمْ
كلاب العشيرة قالتْ: لَعَمْ.
سمعتُ الرصاص على ورق الطاولة
سمعتُ البلابل تشدو، بلا وَتَرٍ أوْ نَغَمْ
ففكّي وثاقي، ولم أذُق الخمر، فكّي وثاقي، اقبليني
رصاصُ العقارب فوق جبيني
حِرابُ الأقاربِ، مغروزةٌ في عيوني.
- وحين تقولين: رملُ البلاد، جبالُ البلاد، مدائنُها
زيّنتْ خصرها ... وأضاءت وجودي
أعود لسجني – أعاهدك الله – فكّي قيودي!!!

توقيعات مجروحة
إلى السيّدة ميجنا

الحبُّ الأعمى ... سيّدُنا
العشق الحقُّ، بياضٌ وسكوتْ
من كثرة تكليمي نفسي يا حبّي،
أوشكتُ أموتْ.

-2-
قلبي من بلدٍ ... وحبيبي في بلدٍ آخرْ
مع هذا نتقابل في مرج الأحلامْ
شنقوني يا حبّي،
ما سألوني شيئاً، قبل الإعدامْ.!!!

-3-
أراكِ كأيّ شهيدٍ يراكِ، فيخضرُّ حُزني،
يُشرّش تحت الصخورْ
وقد نتقابل بين الدهاليز فجأةْ
فينظرُ كلٌّ لصاحبه، ثمّ ترتدُّ عينك، تهربُ منّي
تخافين من ظلمات المحيط، فيقتلني القهرُ، آهْ
تخافين – لا يقطع الرأس إلاّ الإلهْ.

-4-
أتأرجح بين الحبّ وبين السيفْ
يتوردُ في الشارع وجهي لرحيق الصيفْ

أقرأ لافتة عن بيع لعيون حبيبي ... وشراءْ
أسقطُ في مجرى الماءْ.
في الزمن الآتي، نولد في الزمن الآتي،
ألمح طيف حبيبي
يولد في جسدي قمحاً وسهولاً وربوعْ
يتناسل أفراخاً يبكون صباحاً من وخز الجوعْ
هل أنت قميصي، كفني، هل أنت شراب الموجوع؟!!
فلماذا أحببتكِ، قومي، ارتحلي من قلب يسوع.

-5-

نسكنُ في باب مدينتنا ... نشتاق الحُبْ
فلقد جرّحنا زمنُ الوحشة والجدْبْ
لعن الله الجوع فقد قطع لساني
فسكتُّ وقلتُ: وداعاً يا دارْ
حتى إنْ ضلّتْ قدمي في الدربْ
قلبكِ في العتم دليلي
وعيونكِ نهر الضوءْ.
أمشي في بلدٍ من نار
أجلس تحت الأمطار
أنتظر الطوفان الغدّارْ
زلّت قدمي فوق رصيف الحبْ
وأنا لا أملك من هذا الكون الفاني
غير الكلمة والقلبْ.
نعجنُ طينة جدّي كنعانْ
نمزجها، نسقيها، نغسلها من هذي الأدرانْ
نرسُبُ في قاع الأردنّ الولهانْ
يجتمع الشملُ المنعوفُ، فنصبح جذر العالم.

-6-

أزرع نخلاً في الساحاتْ
يا ميجنا، ويا ميجنا ... دومي
أتمنّى أن تلدغني أفعى المرجانْ
ترقد تحت العشب الأصفر
تُنهي أشجاني وهمومي
حتى لا أسمع عنك، أسيرةً سجن الرومي
أو خادمةً في قصرٍ ... أو خانْ.!!!

-7-

أحببتُ ثلاثاً ... وحلفتُ: أتوبْ
الأولى كانت تعشق جيبي المثقوبْ
الأخرى كانت تنبش جيبي المثقوبْ
الثالثة السمرا قالتْ: أنت غريبْ.

أما الرابعةُ الرابعةُ الطيّبة الأنفاسْ
آه، سأحكي لك عنها،
كانت رائعةَ الإحساسْ
كانت ...
لا لن أحكي،
أخشى أن تعلكها ألسنةُ الناسْ.!!!

-8-
ذاكرتي كرمال الصحراءْ
فاغفر لي ذنبي،
كرم نبيذي صار دماءً ودماءً ودماءْ.

-9-
لقد بعتموني لروما، وقلتمْ: لماذا السكوتْ
لقد بعتموني لقاتلة الأنبياءْ
لأنّي عليمٌ بذات الصدور
وأعرف أنَّ الجلود التي تختبون بها، لا تثورْ.

-10-
قبل أن تخضرَّ روحي
قصْقصوا رأس لساني
سمّموا بعض جروحي
قبل أن تخضرَّ روحي.

-11-
تحومين بين الدهاليز، أنتِ حياتي وموتي
تحومين بين الدهاليز، محبوسةً مثل صوتي.

-12-
نافذةُ حبيبي كريستالْ
نافذةُ حبيبي ورديَّة
وأنا ممنوع قرب سياج حديقتها
الحيّةُ بنتُ الحيَّة.

-13-
أصطلي بالوهم دوماً، بانتظار السَّحَرَةْ
جئتكم من ساحل النصّ ومن قلب الأغاني
فامنحوني عفوكمْ ... والمغفرة
وبلادي فوق كفّي، مثل نقش المقبرة
وأنا أجري وأجري،
أزرع الحبّ، وَهُمْ
يقطفون الثَّمَرَةْ.

-14-

قلبي يتفتّتُ كالقرميد الأحمر، كالطُحلُبِ،
حين تحاصره شمس الصحراءْ
فالتفتي نحوي، مَرَّة!!!
والتفتي نحوي، مَرَّةْ!!!
قلبي كنجيل الصيف الطالع في بحر الظُلُماتْ
فالتفتي نحوي مرَّةْ
قلبي يتفتّتُ مثل كريستالٍ من نورْ
يتكسّر كحُطام الجَرَّةْ
فالتفتي نحوي مرّةْ!!!
مَرّةْ!!!

دادا ترقص على ضفّة النهر

هبطتُ إلى جنّة اللوز في الحلْمِ، قابلتُ دادا،
ومن تلكَ يسألني الحجرُ الأخضرُ.
سمعتكِ في الحلمِ، من أنت، دادا التي هجرتني إلى الرقص في الغاب،
عاريةً، نهدُها يزأرُ.
وكانت مرارة قلبي تسيل، ضحكتُ، وكانت مرارة قلبي تسيلْ
رقصتُ على ضفة النهر مثل السحالي، وأومأتُ للراحلة
غصون الدوالي تُهمهمُ للشيح بالرقص بين النساء اللواتي
لبسن خِماراً، يتمتمُ: هذا المدى ماعزٌ أسمرُ.
أمِنْ سفح عيبال، جئتِ كتفاحةٍ طازجة؟!!
أمن رأس جلعاد، جئتِ كرمّانةٍ قرب نهر السماءْ
رأيتك بين السطور التي حَبَّروها فما ارتعشَ الدفترُ.
رأيتك في عنب الشام، ... لا
رأيتك قولي، رأيتكِ أين إذنْ؟؟؟
- ولدتِ من الصَخْر، جئتِ كجنيَّةٍ،
مثل ريح الشِتا تزفرُ.
- سمعتكِ في الحُلْم دادا، عيونك ضوءُ السراج، وهمسُ المتونْ
وثدياك عنقود نجْمٍ ... وطولُكِ نخلةُ هذي الشعابْ.
أنا لحبيبي، ولكنَّ قلبَ حبيبي، كصخرة رُعبٍ
تكسَّر فوق قساوتها العاشقونْ
نزلتُ إلى جنّة اللوز، قابلت دادا، ومن تلك دادا؟؟
أنا مثلكم أتساءل: يا قاتلي من تكونْ؟!!
هي الرعدُ بين حنايا السكونْ
ومَنْ قد ترامى على قلبها المُدْنَفونْ
وفخٌّ لمثلي، إذا كنتُم تعرفون ولا تعرفونْ.

(جرجرني العشقُ لها
فعبرتُ سما التيهِ
ونصبتُ الفخّ لها
فوقعتُ أنا فيه.)

- وحدّقْ هنا ← هذه الفخُّ، لا تقتربْ
لأنَّكَ من صُلْب كنعان، حدّقْ ولا تقتربْ.

تظلّين في خاطري كاشتعال المُنى
وفي حبّ دادا، وفي موت دادا،
وفي صحو دادا ... أذوبُ أنا.
أظافر دادا طويلة
وصبري طويلْ
وسيقان دادا نحيلة
وعودي نحيلْ
أيا عهد دادا، أعدْ ليَ دادا على تلّةٍ من نخيلْ
وخبَّأتُ دادا بضلعي، وأغرقتُها في المساء بخمر الخليلْ
لعلّك تأتينَ، تخضرُّ شمس الطلولْ.
لقد كان في قلب دادا، مزارٌ،
ولكنَّ دادا كصارية الأرخبيلْ
طريقي إليها طويلْ
طويلٌ، كدربكَ لوركا ... إلى قرطبة
طويلُ النوى، واسألوا الشاعر الغجريَّ الذي
قشَّر البرتقال على المصطبة!!!

1. هنا كانت منازلنا ... قبيل الردم في تمّوزْ.
2. ولدتُ وحيداً كالنحلة في البريَّة.
3. نهر العذراء بكى، لمّا سمع الأشجار تذوبْ.
4. الآباء ارتحلوا قبل رحيل الأعداء.
5. عين الماء هنا نشفت من حزن الآباءْ.
6. تقوقعوا خلف المنى،
ومن هنا مرّوا (←) = بوّابة المنفى.
7. وبقيتُ وحيداً كالبيت المردومْ
أهجوا قطعان الروم.

- رأيتك في صالة الرقص، أنتِ لعلّك أنت السكون المريبْ.
ألا تعرفين تضاريس قلبي؟!!
- أنا لستُ دادا
أنا وجه هذي المدينةِ، قلب المدينةِ، عين المدينةِ، صارتْ رمادا
بلادُ السهولِ الجليلةِ، صارتْ لرأسي وسادا
- أنا لستُ دادا
إذن من دعاك لسَمْلِ عيوني؟؟
أنادي بأسواق هذي المدينةِ ... مَنْ شافَ دادا
له من عيوني سلامْ
ومَنْ يا بنات الخليل رأتْها ... لها في شفاهي كلامْ
شروق الطيور على قاعة الرقص، وعدُ حبيبي

بناتُ الخليل اللواتي، نسين الفتى،
والكروم، وبئر السبيلْ
نسين الذي في المنافي يجولْ
أنا عاشقٌ يا بنات الخليلْ.

- ليأتِ إليَّ حبيبي، فقد أوجعتني بلاد النوى
قوافلهمْ عبرتْ يا أبي وأنا، واقف خلف باب الأحبةِ،
رأسي امتلا بالمطرْ.
عيوني من الحزن بيضاء، والريح تسفي، وقلبي انكسرْ
قوافلهمْ عبرتْ يا أبي
قوافلهمْ عبرتْ يا أبي
قوافلهمْ عبرتْ يا أبي.

توقيعات في حفل التدشين

أسير في الشوارعْ
محدقاً في الموت والخرابْ
أسدُّ أنفي بدمي
وأطرد الذباب عن فمي
لكنّه يعود للسردابْ
من يمنع الذباب أن يمرّ في فمي
من يمنع الذباب؟!!

-2-

في المقهى، يزهر حزني تفّاحاً وهمومْ
وأجوع فأركض، بعد سويعاتٍ من ركضي
أبصر نفسي ثانيةً في المقهى، كالصفر أحومْ
الجوع يغازل قلبي، ألهثُ كالمسلول،
بقايا أطلالٍ ورسوم.

-3-

سمعتُ رصاصهُمْ يزفُرْ
فكان الحِبْرَ للريشةْ
وجارةُ جارتي تبكي
على طفلٍ لها في الشارع الأصفرْ
وتلعن هذه العيشةْ.!!!

-4-

كانت خطوات الموتى في الليل، تئنْ
حول كؤوس البيرة والجِنْ
كنّا نتذاكر قتلانا في حفل التدشينْ
ومضغنا بين الفكّين، بقايا لينينْ
كم أكره نفسي
كم أكره نفسي
وأنا أسمع خطوات الموتى في الليل تئنْ
حول كؤوس البيرة ... والجِنْ.

-5-

في قلبي آلاف الأشياء
لا أحكيها، إلاّ للحيطان الصمَّاءْ
أحكيها لحمام الأسرار على الهَضَبة
أرفض أن أحكيها للسيف المسلول على الرّقبَة
أرفض أن أحكيها للغولْ
ذلك أنَّ لساني يا أحبابي، مشلولْ.

كنعان صابر لم يستنكر!!

بابُ حديقتكم لا يُفتح، إلاّ للعشاق الحمقى:
- في المجلس، كُنّا سبعة:
1. البقْتُ الأبيضُ في بصْماتِ العشّاق المرتحلينْ
2. الحزنُ على وجه قرنفلة الصوّانْ
3. الكذبُ الرنّانْ
4. الصدقُ السرّيُّ المذبوح على نافذة الآراميّينْ
5. الورد النامي في البستانْ
6. وصبايا، سلسلة من ذَهَبٍ، قُرْب النبعَة
7. وأنا كنتُ لهمْ واسطةَ العقْدِ[1]

حدّقت إليهمْ، غاب حبيبي، فجلستُ هنا وحدي
هرب الصدقُ من المجلس، لمّا حدّثتُ الباقينْ
وكذبتُ بأنَّ العِلّة تنمو في جسدي
العِلّة أنتِ، غيابكِ، لستِ معي في الضوءِ الأسودِ،
ليس هنالكَ من أحَدِ
رغم صياح السبعة في حان البلدِ.

تدمع عيني وحدي،
أشكو وحدي،
أمشي في الشارع ليلاً وحدي،
أسكر وحدي،
أشرب سمَّ العالم وحدي.
أزرع شجر الحبّ وحيداً،
ينمو شجر الحبّ وحيداً،
يثمر شجر الحبِّ، فيأكله غيري

---

1 كنا ننتظر غيابكِ كي يحضُرَ، حفْلَ نبيذٍ مجنونْ
ننتظرُ الفتنةَ، حتى تأتي بكشاكشها، ضحْكتها،
حين تُجلجل أو تهمسُ، أتخلخلُ كقطيعِ مُجونْ
أنهر رُ، لساني ينعقدُ، أخونْ
وغداً، كنتُ كتبتُ أمام حبيبٍ .

أمنح فرحي غيري
ذلك أنّي معكمْ
رغم رحيلي ... وحدي.

القمر الأحمر في جيبي
الزمن الأسود في جيبي
يركض في جيبي، ثمّ ينام على كتفي المطعونْ
الجبل السحريّ انشقّ، انحدري، غوري في قاع الطين.
كان الخاتمُ محفوراً في قلبي، واسمكِ كان دليلي
ما اسمكِ لا أعرفُ في هذي الصحراءْ
أعشق واحدةً لو قالتْ: هيّا، لشققتُ الأرض بسيفي
لهززتُ الأفق بصدري المكلومْ
خيلي تصهلُ، ردّي عنّي حوريّات النوم، انحدري في القاعْ
قلبك خاصرةُ العالم، ينبضُ في جذر أريحا الأولى
صوتكِ نهرٌ من دندنة القيثار الغجريْ
وجهك تاريخي، طبقاتٌ رسموها فوق الأعمدة الناريَّة
سأغوص إليك، وأحلم أنّكِ أنت أنا، وأنا أنتِ
الشاطئ يغمرنا برذاذٍ، هل جرَّبتِ المنفى، هل جرّبتِ؟!!
كلبٌ ينبحُ قُدّام المقهى كالمقهورْ
القمرُ الأرنبُ يحرسنا تحت سوالف مريمْ
وجهك مولودٌ في بركة قريتنا،
كنت أغمّسهُ عند العصر،
بعصير الرمّانْ
قلبي أطهر من رملٍ عذريّ،
أقسى حين أثور من الحجر الصوّانْ
أمشي، تمشين بقلبي، وتنامين على جفني
ارتحلي من روحي، يا أختا روحي
ما اسمكِ قبل قدومي، ما اسمك بعد قدومي ... روحي؟!!
ما اسمك حين تحبّين، وما اسمك قبل الموت، وبعد الموتِ؟!!
- باب حديقتكمْ، لا يُفتح، إلاّ للعشّاق الحمقى
أمّا الزعرور البريُّ، فيمشي في غاب الشكِّ
فالتفتي نحو يتاماك الشعراءْ
مَنْ قطعوا سبع بحارٍ نحوك، يا شمسَ قلادتها انشكّي
في أعناق زرافات السهل المغمور، أيا بنت البحر انشكّي
في قاع البحر مع الحيتان سبحتُ، وسابقتُ خيول الدَرَكِ
الحبُّ الطالع، كالشجر الأخضر، في باب حديقتكم، شجري
معترفٌ بي في كل مكانٍ إلاّ في دائرة الصوتِ
ذلك أنّي أجرحهمْ، من شدّة صمتي
صمتي يقتلهمْ، وأنا أركضُ مهموماً كالنعش الموتورْ
قلبي يتآكل مثل خرائط تذبل كالنبتِ
أسقيها دمعي في كل صباح، وأغنّي:
- هل تأتي الحلوةُ ... أم لا تأتي؟؟

تسْقُط أوراق الورد النامي في قلب حديقتكمْ،
وأنا أتسلّى:
- هل تأتي الحلوة، أم لا تأتي؟
- تأتي
- لا تأتي
- تأتي
- لا تأتي
الحلوة يا منفى روحي، لن تأتي!!!
مُعترفٌ بي في كل مكانٍ، إلاّ في دائرة الصوتِ
ذلك أنّي منكمْ ولكمْ
رغم تفرّق أحبابي، رغم هدير الصمتِ.
أمشي في شارع قوس المطر الساكتِ، إلاّ من سيّدة القلق
خلخالُ حبيبي رنَّ على وَهْج الحُرَق
وحبيبي يغربُ كالشَفَق
معترفٌ بي في كل مكانٍ، إلاّ في جامعة الشَبَق.

ناداني شرطيٌّ، بلّله مطرٌ حامضْ
أخرجتُ له وجهي، سمّيتُ له بلدي المحروسْ
قال: اخرسْ ... من أيّ قبائل حارتنا أنتْ؟؟؟
أطلقني، حين تأكّد أنّي قيدُ التجنيسْ!!!
في شارع قوس المطر مشيتُ، ورافقني
الشاطرُ أحمدُ والغولْ.
أبكي في حُلُمي الراعش كالعصفور المبلولْ.

قلبي حبَّةُ قمح فوق النار تحومْ
وشفاهي أطلالٌ ورسومْ
وصهيلي مخنوقْ
ألهث خلف الهودج والفرس الأخضر والنوقْ
غاباتي صَدِئَتْ أطراف خرائطها،
فتعلقت بأمي، كالطفل المشنوقْ
أركضُ خلف حبيبي، لكنّ حبيبي ينأى
يختبئُ وراء الغيم، وفي أدغال السوقْ
لو أنَّ الغالية تراني
لبكتني صُبحاً، حضنتني كالبحرْ
غسلتني كالموج، رعتني كالمُهرْ
لكنّي في غابٍ أنفيه وينفيني
يذبحني، أعبدهُ، لكنْ، يدميني
يا عاشق صوتك، كيف تخافْ
في باب المنفى حوريَّة
شبعتْ من ثمر الأصدافْ
لتعوم ببحر شراييني
قد جاءت، قل لي: يا صفصافْ

من أين حبيبي يأتيني؟؟؟
يأتيني من وادي القمر الأزهرْ.
لو تسمع رجْعَ حنيني
حبٌّ أنفيه وينفيني
وطنٌ أنفيه وينفيني.
- ينسحبُ العاشقُ من حفل الأضواءْ
يتركُهُمْ في قاع دخان الكلماتِ الصفراءْ
يهربُ تحت رذاذ الضوْءِ وتفتِنُهُ الأنواءْ
يغسلُ روحاً متعبةً في هذي الصحراءْ
مَنْ ينقذني من هذي الصحراءْ.

وحيداً ... ذات مساء

مطرٌ فوق نافذتي والثلوجْ
لاحقتْ بُلبلاً في سماء المروجْ
وأنا أقرأ الأرجوانَ الطبيعيَّ في لوحةٍ رَسَمَتْها (تمام)
أتأمّلُ (شمّوط)، يُغوي قطيعَ غمامْ
وينتظر العودة الأبدية نحو الجذورْ.
أعيدوا إليّ شفاهي
أعيدوا انتظاراتنا في المحطّات، عبر اللهيبْ
أعيدوا إليّ الحبيب الحبيبْ
مناديلنا مزّقتها الرياحْ
أقولُ، وقد سرقوا اللون منها قُبيل الغروبْ
أراكِ فتوحش تلك الدروبْ.
أعيدوا إليّ جبالي، أريد الكروم، أريد القرى:
شارعاً، شارعا
أعيدوا إليّ المقاهي التي عرفتني فتىً ضائعا
أعيدوا إليّ السماء التي حضنتني على الشرفة العالية.

ألوبُ زقاقات هذي المدائن،
لم أقتنع بالتشابيهِ، لم أقتنعْ بالبديلْ
ومن أجل عينيكِ ... طفتُ المَدى الشاسعا
ومازلتُ أهذي، فيُورقُ كرمُ الخليلْ

مطرٌ فوق نافذتي والثلوجْ
لاحقت بلبلاً في سماء المروجْ
وأنا
أقرأ الأرجوانَ الطبيعيَّ في لوحةٍ رَسَمَتْها تمامْ.
أتأمّلُ (شمُّوط)، يُغوي قطيعَ غمامْ
وينتظر العودة الأبديّة نحو الجذور.

تقبل التهاني ... في أي منفى

لماذا إذا الوجه منكَ انحنى
نبيعُ الدموع لساقي الهُمومْ
وما زلتَ في دمنا الصوتَ والسهلَ والمُنحنى
عَتابا، خلعنا من الأرض، أحرُفها الغارقة
سَلاسلَ مبنيَّةً من شهيق سواعدنا في الكرومْ
غيوماً تلاحقنا في الغيومْ.
لماذا إذا الوجه منك تناثر كالعُمْر من قمّةٍ شاهقة
لماذا إذا جار هذا الزمان علينا،
وصارت نوافذنا مغلقة
نؤذن في المؤمنين،
وأوجهُنا في الرمال، وأدمُعنا كاللظى مُحرقة؟!!
وآذاننا بانتظار الذي سيدُقُّ النوافذ عند المساءْ.
لقد عبروا يا أبي،
ليعتقلوا غيرنا
نؤذن في جرَّة الخوف، نرضع أطفالنا من نهود الجبال
ونرتقب السفن المارقة
تنادين، ... بيروتُ تُعلنُ: كنعان مات،
فنكتمُ أدمعنا في العيونْ
لأنَّ الشوارع قد ملأتْها العيونْ
وبيروتُ تعلن كنعان مات، فيا منزلاً في المنافي ابتدا
لقد أشعلوا النار في جسد الطفل - ويلَ العِدا
إذا ما رفضنا الرحيلْ
حَبَسْنا الدموع، وقلنا: يجيء الزمان الجميلْ
وتبقين يا (أمَّ سَعْدٍ)،[1]
وتبقين يا نجمةً في الضبابْ
تظلّين مغروزةً في تراب النُّجوعْ.
لكنعان تبكي طيور الندى

---

(1) أُمّ سعد : إحدى شخصيات رواية لغسّان كنفاني .

لحصّادةٍ خلف منجلها في البقيعْ
تغنّي إذا ذابَ صوت الصدَى:

- لقد نمتَ في الشمس والشمسُ تحرق فرسان هذا الضبابْ
وكنعانُ يا صُحبتي، وردَ الموت قبل هطول السحاب.
لقد كان برقاً يثور، فيُنجب رعداً، فتبكي الغيومُ، وتبكي السماءْ
وما كان كنعانُ، إلاّ حنين المُحبِّ لأحبابه الفقراء
وما كان إلاّ صهيل خيول الجزيرة، تشتاق للبحر،
والبحر صار بعيداً وأهلك كنعانُ - قد عُرضوا للشراءْ
فيا دارها خلف أسوار عكّا، إذا ما نما العشب فوق السطوحْ
ويا مطر الساحل المستغيث بنا، لا تَقُل للأحبَّة، هذا المُحبّ ينوحْ!!!
وما مات يوم الذي مات، لكنّهم قتلوهُ هنا قبل عام ثقيلْ
ويا ليتني ما صرختُ: الخليلْ
على بُعد مترين منّي، ولكنها في البعيد البعيد البعيدْ
تزايد لي هجرُها من جديدْ.

أقول، وقد كسروا عودك الأخضر المستقيمْ
أقول، وقد غرزوا في عيونك قبراً جديداً ... وقبراً قديمْ
تظلّين مثل اليمامة تبكين قبراً جديداً ... وقبراً قديمْ
تظلّين يا أمَّنا ... والنِصالُ تكسَّرنَ فوق النِصالْ
خيامَ السماء، وبوصلةً في ضباب سَدومْ
تظلّين فوق الأعالي نجوماً ومِلحاً بعين الحسود اللئيمْ
تظلين فوق الذي فوق، يا قُرَّةَ العين،
يا أمَّ هذي الجيوشْ.
إن اشتقتِ يوماً لقبر حبيبكِ، مُرّي به في الصباحْ
وصُبّي عليه من الدمع، صُبّي من الدمع فوق الترابِ،
مُصابك فوق الذي نستطيعْ
ستخرجُ عكّا إلى السهل، رافعةً كفَّها للسماءْ.
ألا من رأى وجه كنعان، في أيّ منفى، نقيم العزاءْ؟!!
نقيم العزاء على التلّ، في النهر، في جبلٍ من رجوعْ
نقيم العزاء أمام سُرادق هذا البقيعْ
وفي أيّ منفى ... نقيم العزاء.
لماذا إذا الوجه منك انحنى
نبيع الدموع لساقي السرابْ
وما زلتَ في دمنا السهل والصوت والمنحنى
وما زلتَ .. ما زلتَ خفقةَ أجنحة الشعراء الغِضابْ
وما زلتَ كنعانُ أرجوحةَ الميجنا.

الـقـبـائـل

أيُّها الفتى المزيّن بالعُنفوان، كما الفراشة
عندما لا يبقى أحدٌ بين الصخور
لنتكلم ببساطة مثلما أنت وأنا:
في هذه الليلة سقطت نجوم كثيرة. (بابلو نيرودا)

-1-

مَنْ مُجيري إذا طاردوني، وكانت شعاراتُهمْ واحدةْ:
- ذاتَ يوم، يجيئكِ صوتي، وتهتزُّ روحي، كما الماء في سفح عيبالَ،
يخترق الرمل والريح، ينشر عطر حبيبي على مُدن الحبِّ،
هذي البراكين يوماً تثور، ويصبح هذا الرمادُ حَجَرْ.
إنَّه ديمةٌ سَمْحَةٌ سوف تجبرُ غيلانها أن تُوقعَ فوق جواز السَفَرْ.
ذات يوم يجيئكِ صوتي، وتعترفين بأنّي تمرمرتُ من أجل عينيك،
من أجل هذا المَطَرْ.
صِحْتُ خلفي: خيولُ القبائل خلْفي، وخلفي الصهيلْ.

-2-

حين تجيءُ الشمسُ إلى الباب الغربيّ أقول: يهلُّ شباطُ الخبّاطْ
أرقبُ قافلةَ الآراميّينَ، وقافلةَ الأنباطْ
أرقبُ سور الحرم القُدْسيّ، وباب الأسباطْ
وكذلك علّمني الوالدُ أنَّ الأمكنةَ حنينٌ، نهرسُهُ، لكنْ يبقى
فاحفظ يا ولدي في قلبك، بعضاً من ماء العينْ
تنفعك الذكرى، حين يحوم على رأسك طيرُ البينْ
في لحظةِ عدمٍ من زمن الإحباطْ.

-3-

آخر الليل، حتماً تجيءُ الخليل إليَّ على شكل طفلٍ،
يفجّر فيّ، شقاوتَهُ، وأنا ساهمٌ، والمقاهي هنا عَلّمتني السَهَرْ.
صحتُ: إنَّ الخليل رماد، ترونَ،
ولكنّها،
عندما يبلغ النهرُ أعلى الجبال، تكون الخليلُ،
رعوداً مجلجلةً،
ثمّ برقاً،
تكون الخليل شَرَرْ.
صحتُ: إنَّ الخليل صخورٌ تثور، وحَوْرٌ يرفرفُ،
يحرسُ عين الخليل،
فمن ذاق طعم الخليل،
ولم يحرس الماء مثل المطاريدِ،
معناهُ أنَّ التراتيل باطلةٌ والدعاء إلى اللهِ،
لا يُستجابُ، ومن لم يُحِبَّ جبال الخليل، كَفَرْ.

-4-

قدَمٌ في الريح وفي التابوتْ
قدَمٌ أخرى في بيروتْ
قلبي في المنفى، يا باجسُ، يخضرُّ قليلاً ويموتْ.
العودةُ عن نبع قرانا إثمٌ،
والغربة غولٌ مشبوهٌ، والمنفى ثرثرةٌ وسكوتْ
قدَمٌ في الريح، وأخرى في بيروتْ.!!!

-5-
طالعٌ شجر الحبّ،
إيقاعُهُ في دمي، والعيونُ تحاور هذي الصخورْ
المغاورُ مأوايَ، روّضتُ هذي الوحوشْ
للمنازل ضوءُ القناديلِ في العرس، رغم حراب الثغور.
كان لي منزلٌ، غير أنّي القريب البعيدُ، البعيدُ القريبُ الذي
يتشوَّقُ نار الجبال، ومريمُ لم تأتني بالطعامْ
هل ترى يا تُرى، عسكرُ الليل قد أوقفوها على تلّةٍ،
قرب وادي الزهور،
مذابحُ أهلي، حصىً وقبورْ.

-6-
سأشبّهُ كلَّ الأشجار بأشجاركْ
وأشبّهُ قافيتي الموزونة،
مشيتك المختالة في حقل الذرةِ،
أشبّهُ أبياتي، بجميل إزاركْ
وأشبّهُ عينيك بليلِ حالكْ
أشبّهُ أحجار المنفى
أشبّهُ أرصفة المنفى
أشبّهُ حانات المنفى
أشبّهُ أضرحة المنفى
أشبّهُ أسوار المنفى
وأنادي في الناس، وأصرخُ في زمن التيهْ
سأشَبّهُ، حتى يذبحني التشبيهْ.!!!
وأقولُ لفهدٍ ولراسمْ:
زمنٌ يأكلُ منّا العظمَ،
أقول بأنَّ الرعب يدبُّ بأوصال العالمْ
لكنْ ما إنْ تبزغ شمسُ السهرةِ، حتّى
حتّى يغسلنا مطر التذكار الحالمْ:

يقرأ هذا صفحاتٍ، ((بخصوص الجملةِ ...)) عن لينينْ!!!
ويغنّي هذا أبياتاً من مرثِيّة مالِكْ
سأشبّه روحي يا باجسُ، بشظايا الدور.!!!

- جاءتْ لي في آخر هذا الليل الموحش،
تركض كالطفلة، ما بين اليقظة والنومْ.
تحمل لي مخلاةً من زادٍ،
ألقتْ في الوجهِ سلاماً وجبالاً من لومْ.
باجسُ ما زال يحاور صخر الوعر، فتنبجس الأصواتْ
يتغزّل بالدالية المغرورةِ، يتمختر في الطرقاتْ
يطلع ما بين الزهرة والنحلة، يحمل شارةْ

يطلع في الليل، يلاعب أطفال الحارةْ
ويغني الفلاحين، يُسلّيهم في حقل الذرة الصفراءْ.
جاءت لي ما بين اليقظة والنومْ
أشجار البُطمةِ في ذيل الثوب العِنَبيْ
الحرقةُ في القلب، الغضب العارم في الأسواقْ
وتقول: زمان الوصل يجيءْ
في قاع سحاحير الدُرّاقْ
قالت لي: كان فخوراً فوق الأعناقْ
جاءت لي ما بين اليقظة والنومْ.
أعرف أنَّكَ تعرف كلَّ خرائبنا،
ودخان طوابين قُرانا،
وتعانقها الآنا.

سأزور القبرَ، قرنفلة حمراء سألّقيها
هذا وعدٌ، كلّ قرانا ومدينتنا تخرج في العيدْ
لتزورك حين تطلّ عصافير الفجر،
تكون استيقظت من النوم السحريْ
ومددتَ يديك لنا بالزعتر والحنّون البلديْ
تُهدينا دالية من نورٍ وَهَّاجٍ، وقمرْ
وسنهديك هدايا: علماً، خارطةً كاملةً، وجواز سَفَرْ.!!!

-7-
هائمٌ والشوارع خُفّي
وبعضُ القبائل تسعى لخلعي عن الوصل بالأرض
والناس واللغة الماجدةْ
هائم في الشوارع، بعض القبائل، كلُّ القبائل، ترفع لافتةً واحدة.
مَنْ مُجيري، إذا طاردوني، وكانت شعاراتهمْ واحدة.!!!
الموازينُ هُمْ
البلاغات همْ
المسافات همْ
الطواويس همْ
وَهُمُ الموت في ليلةٍ باردةْ.
هُمْ رماد بلادي، هُمُ السجن والقبر والشاهدةْ.
الخرابُ هُمُ،
الجذور النبيلة حين تثور، سيصدر عنهم بلاغٌ وراء بلاغْ.!!!
هكذا
أصبحوا
حانة الأجنبيّ،
يُضاجعهمْ في الدماغْ.!!!
من مُجيري، إذا طاردوني، وكانت شعاراتهُمْ واحدة؟!!!
- نحنُ صوتُ التراب الممرّغ بالدم والحزن حتى النُخاعْ
نحنُ وهْجُ القبائل، نحن البحار التَصُبُّ إلى بركةٍ راكدةْ
نحن من يقرؤون الكتاب، لهذي الشوارع والمدن الجاحدةْ

نحن جوع الجياعْ
نحن هذا الزمان اليُطِلُّ عليكمْ، ونحنُ سراجُ القبائل،
نحن الشُعاعْ.

-8-

فلتَنَمْ، أيها الطفل، إن سماء الخليل سَماكْ
فلتنمْ، ... الطيورُ صباحاً تعودْ
بلّل اللهُ قبركَ، إنَّ الندى في المساء كثيفٌ،
دخانُ الطوابين أشهى،
وراعيةُ الماعز الأسمر المتراكض - حتماً تراكْ.!!!

كان طفلاً بريئاً، يحبُّ الزراعة في التربة البكر،
يكرهُ ريحَ السَمومْ
كان سيفاً وبستانَ لوزٍ، وصوتَ غَضَبْ.
كان باجسُ في زمن القحط، سدّاً بوجه السوافي
كان طفلاً،
يُقلّمُ عُنْقَ العدوّ، ليزرعَ في السفح حاكورةً من عنبْ.
نحن نعشق هذا القمرْ
نحن نشتاقهُ الفجرَ والظهر والعصر والليلَ...،
مَنْ لم يُحبَّ جبال الخليل، كَفَرْ.
لا يُؤمَنُ جانبُهُ
أشجاري تصلُ قلوباً ومنازلَ في علّيينْ
أنهاري في رحم الأرض سكاكينْ
أشواقي عارمة كالطمي، وفائرةٌ كالطينْ
ماذا أخذتْ كفّاكَ المرفوعةَ غير الندم الحارْ؟!!
ماذا يا جوهرة الروح.
حدّقتُ إلى صورتكَ المنشورة، حيث رأيتكَ
في البُعد، وفي القُرب جميلا
وبكيتُ عليك قليلاً ... فارتحتُ قليلا
تضحك في موتك، تضحك من موتك، وأنا في المنفى الرابعْ
المطرُ على التابوت وشمسٌ خضراءُ،
تطلُّ على العشب الطالعْ
المنفى كلبٌ مسعورٌ، المنفى قهرٌ شاسعْ
لا يؤمن جانبُهُ، حتى نُرديه قتيلا.
في عينيك انفجرت بعض الألوانْ
الأحمر هذا الخنـزير البريُّ الحاملُ في كفّيهِ خناجرْ
الأبيضُ أصل الموج الساحِرْ
الأسودُ ظلٌّ للشبح الوهميّ المطعونْ
الأصفرُ زعرورٌ ومنابرْ
الكحليُّ يُضرّجها، بالسحر وبالفتنة في الأعراسْ
البُنّيُّ الفاتحُ في الفجر، علاماتٌ ورموزْ

رسموها فوق رخامات الرحم المهجورْ
أقتلعُ الآن سَريري
أفتتحُ الآن سُروري
أبكيك طويلاً وطويلاً وطويلا
فرسك حمراءُ، وتجري بين قصوركَ يا (صبرا) وَ(شتيلا)
والمنفى من وجعٍ،
لا يؤمن جانبُهُ
حتى نرديه قتيلا
حتى نرديه قتيلا.

قولوا لمقبرة الشهداء ... ألا يكفيك!!

الليلة يبكي، فأواسيهِ: غداً يأتونْ
من وادي الأنباط قوافلهمْ، تجري بمشيئةِ قلبي
قال: غداً يأتون من القلب المطعونْ
خاصمني العلّيقُ البريّ الحامضُ، خاصمني
لم يُكتبْ في قائمة العشّاقْ
شاجرني الهُدهدُ قبل صهيل الأمواجْ
سجّلتُ قوادمَهُ والريشَ الكحليَّ
على ورق الكرم الغربيْ
ونسيتُ بياضَ الريشْ
فاحتجَّ لدى السُلطات المعنيّة بالتفتيشْ
وتوالتْ قائمةُ الشهداءِ المغمورين ... وما تابوا.
ثمّ مشينا في الساحات المذعورةِ في الأيام المقهورةْ
خافوا من عينيها السوداوينْ

خافوا من ثوب يتلالا ... كصهيل الماءْ.
هذا نُصبُ الجنديِّ المجهولْ
علّق من جانبهِ في شكل سؤال محمومْ:
هل يُصبح نُصباً للجندي المعلومْ
لن يحدث هذا في وطن الرومْ.

برلينُ الخضرا، قسَمتْ ضحكتها نصفينْ
هاتيك البنت الألمانيّة، كانت ترقب، منعرجاتِ السوقْ
هاتيك البنتُ الألمانيّةْ، سحرٌ مَرموقْ
هاتيك البنتُ الألمانيّة، مدَّت كفَّيها للنهر وغنَّتْ للغابة:
- فرسي يَتَنَقَّلُ فوق برازخ من قشٍّ محروقْ
يا هذا الأسمرُ، عَرِّجْ نحو مفاتيح الأقفالْ
مُهْري حاصره البردُ صباحاً، فاختبأ المهر الورديْ
في سلّع الروح وما بين الفرعينْ
علّق من جانبهِ: ما أحلى المدن السمراء.!!!

- أمّا في بيروت المنقوشة في مِشْماس السفح،
المرويّة بالقهر الدمويْ
كان يُطقْطِقُ بالبُسطار على أرصفة الحبِّ الغدَّارْ
ليُنسّقَ خبطته في ظلّ نشيدٍ من نورْ
هل أنت هنا ... وشربنا، غنّينا لرحيق الأقداحْ
في كفّيه – الكاميرا، ترتعشُ كعصفورْ
غنّينا أغنية جارحة حارقة، لم يألفها محمودْ.
- الآن نقول لمقبرة الشهداء المختفية في أحراش الدارْ
يا مقبرة الشهداءِ المغمورينَ الجبّارين، أغيثيني
أ ... وَ ... لا، تكفيكِ أكاليلُ الغار!!!
أ ... وَ ... لا، تكفيكِ مئاتُ قرابيني.!!!

صدرت في (1974)

الديوان الخامس

دموع الكنعانيات

طيلة أيام الأسبوع، أسافرُ
ما بين الجذر الأحمر، والجذرالأخضر
ما بين عناق اللونين، أذوبْ
ما بين عناق اللونين أذوبْ.
ثُمَّ تهاجمني نجمات الليل المثقوبْ.
وتهزّ الذاكرةَ:
شُجيراتُ السدر ... تجيءُ محمّلةً،
بعطور الكنعانيّينَ الآراميّينْ
لم تَكُ أندلساً، بل كانت خيلاً جامحةً،
تسبقُ أشواقَ الفرسانْ.
يبنون متاريس، على المرج المنبسطِ،
من الناقورة حتى القيعانْ.
الكنعانياتُ، ربيعٌ من ذهب رنَّانْ
صلّينَ على الجبل المبتلّ بدمع الآباءِ،
المجروح بسيف الأعداء.
الجبلُ المبتلُّ بدمع الآباءِ،
المجروح بسيف الأعداء، يُصلّي أيضاً،
للطلل الواقفِ فوقَ الرأس الوقاد، العالي السَهْرانْ
المعشوشبِ دمعاً ودماً، والباكي وحشتَهُ،
لولا أن حماماتٍ طارتْ، حطّتْ
وأقامت، أعشاشَ مساكنها، قُربَ الغُدرانْ
تتدلّعُ قرب حقول الزيتونْ
تتزعْرنُ قُرب الغابات السوداءْ
تركض، عبر الأنهار قديماً وحديثاً،

وكذلك، كان الكنعانيون يجوسونَ
المدنَ الصفراء، المكتظة بالسكان،
الدامية الأجفان، الباهتة الألوان،
الساطعةِ الأحزانْ.
فلقد جرّحهم صمتُ الأنهار، وصمتُ الصحراء،
وصمتُ الأرصفةِ،
اقترب التشبيهُ، وحنّوا
لحصاةِ النهر المتعبةِ الأقدامِ،
من السفر الدائم في خط النارْ.
حنّوا لحصاة النهر المتعبة الأقدام،
من السفر الدائم في الأنهار،
امتدّوا كاللهب، يديرون الكونَ المنهارْ.
يبنون الحلم، تجيئكِ أغصان الليمون،
مُحمَّلة بالغيم، تزوركِ يا بيروت.
يلسعك الحائطُ بالملصق، كالفاجعة الكحلاءْ.
ثم تقولُ، بأن الزيتون يزوركَ،
لو داهمك الأعداءُ الإخوةُ، والأعداءُ الأعداءْ.
ثم تقول بأن الزيتون يزورك،
لو داهمكَ الأعداءُ الإخوةُ، والأعداءُ الأعداءْ.
يذكرني حتماً في الليل حبيبي
قالت، إحدى عذراوات الساحل،
ثم، رقصن، رقصنَ، رقصنَ،
إلى أن شققت الأرضُ غشاءَ الأقدامِ،
وَضَجَّ الإعياءُ من الإعياءْ.
ضجَّ الإعياءُ من الإعياءِ،
تعانقَ دمعُ الكنعانيات، وحنّاء الأشجار.
سيعود عريساً يا شجر الزيتون، يعودُ،
تلطخ بالحنّاء المائل للحمرةْ.
كان القمرُ الأحمر في حالة بدرٍ،
ورأين القمر على هيئة طفلٍ،
يركب فرساً خضراء، وقالتْ إحدى النسوة:
حمراءْ.
ثمّ تصفقُ للقمر القادم من بيروت،
أكفُّ الكنعانياتِ ... من الناقورة، حتى الرمل،
لقد رام اللهُ... اشتدَّ هتافُ النسوةِ:
رامَ اللهُ ... لقد رامَ اللهْ
وبكينَ، وأطلقن زغاريدَ: الزيتونُ يجيءُ،
الزيتونُ يغني الزيتونْ:
سهام المنفى في عينيهِ،
الزيتونُ الأخضرُ، أحمرُ
بل دمه أخضرُ،
بل أسود، بل أزرقُ،
بل بين الأخضر والأحمر،

لا، بل أصفر أصفر،
أصفر مثل الكُركم،
قالتْ: إحدى الكنعانيات: هنا دمهُ،
واشتدت نقراتُ الطبلِ:
أيا دمه اللهب، على حيطانك يا بيروتْ.
أقبلْ ... يا أيل القربان، على صخر فلسطينْ
وازدحمتْ أرجلهُنَّ،
أكادُ أشمُّ خلاخيلَ نساءِ جنينَ،
يغنين عريساً في المنفى،
جسداً مصفراً،
صورتُهُ تبتسمُ على الحيطانْ
صورتُهُ، صارتْ أرزاً للشعراءِ،
وقمحاً للفقراء، وحزباً أخضر للشعب المنكوبْ
صورته صارت أنهاراً، وسماءً للكُلّ، النعسانْ
صورته تفتح كُلَّ حدود الشوكِ،
وألمحه طيلة أيام الأسبوع،
يسافر بين الجذر الأخضر، والجذر الأحمر،
ما بين عناق اللونين يذوبْ.

نقوش الأنباط

ناداها البعلُ، ونادتني امرأةٌ أخرى:
حين لمحتك في الترانزيت البدويِّ،
تجرّين الأعوامَ،
على أخدود جبينكِ،
أشرقَ قلبي في المرآة.
ثمّ تجرّين، بإصبعك اليُمنى،
رَجُلاً يمشي في ثقةٍ :
أنَّ يداً، لم تمسسْ خديّكِ، سواه.

مطروداً، كنتُ
إلى بلدٍ ... لا أعرفه، أدمنتُ الأوّاه.
أدمنتُ الرقص على خشب مكسورْ
أعدائي، يثغون إشاعاتٍ،
عيناكِ تسمّرتا، والجسدُ تكهربَ قرب السور.
ثم تفعفلَ قلبي، كذبيحٍ يشهقُ، آخر آه.
نادها البعلُ، ونادتني امرأةٌ أخرى:
ها أنتِ كبرتِ، وصرتِ امرأةً حارقةً، يشعطني

نورسُ أنحائكِ في جبلٍ مغرورٍ، يعلو البحر المغدورْ.
ثمّ
يُكَهْرِبُني ثغركِ، صفُ اللؤلؤ في باب البحر،
رفيفُ ضفائركِ المجنونةِ، في عاصفة الضوء المنثور.
كلُّ ضحاياكِ، انتشروا في الليل،
كحبّات السهر الممدودِ،
وأنت تغطّين، كأفعى شتوية.
تسترخين، كنرجسة في قاع بحيرة بلّور.
قالت لي: غابةُ مرجاني،
تتناسل أنهاراً من عسل الرغباتْ.
غمزتني بعلاماتِ النار الوثنية.
الحيَّةُ بنت الحية بنت الوقواقْ:
قالت لي: قابلْني في باب الطاقْ
أو بعد النبعة، تحت الأشجار الملويَّة.
قرب نقوش الأنباطْ.
ناداها البعلُ، ونادتني امرأةٌ أخرى:
عنبٌ يتجنّس، حمضياتٍ ...
ونبيذاً مختوماً، بالأمكنة السحرية.
ثم مشيت، على (اللسِّ)، كماءٍ تحت التبن،
غفطتكِ، أغمضتُ الوردَ العطشانْ
ثم رويتُ بساتين الأنباط، بأشعاري
ثم تودّدت لغمزتها الخضراء الثوريَّة.
برحيق السُهْدِ، هجمتُ على درب الأقمار الفضية.
هل أنت رمادية؟!
هل أنت ربيعية
كعمود الضوء الطازج في الفجر،
أرى قطعانَ الأيلْ
شقشقنَ بكارةَ هذا الليلْ،
فانبلج الدمع على الخد، وسال الأحمرُ،
إن شئتِ ذبحناهُ، ذبحناهْ.
علوّاه، علوّاه، علوّاه
يا عنب الأنباط المبهورْ
يا فتنة ممنوع مقهور.
ثم تدحرج فوق الآه

عصفورٌ يطعم عصفورةْ
تحت شِحاف الصخر الوردي الفتّان.
لكنَّ الزعرورةَ تحسدني ... ليش!!!

ناداني البعلُ، ونادتني امرأةٌ أخرى:
أترك للزمن طريقاً، كي يمشي
هذا التابوت على الأكتاف، نراهُ يكسدرُ محمولا.
سَرْسَبةُ مياهِ العين على الردفينْ
تتدندل فوق الظهر، ضفيرتكِ الأولى
أمسكُ سالفكِ الرعويَّ المتعنطز، فوق الأذنين.
أفركُ ما تحت الإبطين، وما فوق الإبطينْ.
بين صخور الأنباط
كانت ترقبنا سراً، خزنةُ فرعونَ السِحْريَّة
خاوية من أيّ رصيدٍ، تتباهى برسوم معاركها
فلماذا تتفرعن، هذي الحمراء النائحة،
كموّال نبطيْ
ولماذا الخيلُ ترمرم هذا الخشب السحريْ
تلتهم بقايا عشبِ نشيدٍ كنعاني
تتحلّى بعساليج العسل الصافي،
مثل كريستال خدودكِ،
يا فتنة وادي الأشعارْ.
أمسكتُ بعصفور حبيبي،
فرّ العصفور المتدلّل كالمهرةْ
واختبأتْ نحلةُ أردافكِ، بين ضفائر عُلّيق الصخرةْ
قالت: مهلاً ... حتى لا يضبطنا الراعي
بالجرم المشهود.
هيه يا مُليهِ الرعيانْ
أبعِدْ غنماتك عن حقلي
أبعِدْ كفّيكَ عن النقش المحفورْ
في قبَّة صدري المقهورْ.
هيهْ يا مُليه الرعيانْ
لا تلمسْ كفّ السائحة الشقراءْ.
حين تشعبطتُ النخلة،
صَهْلتِ الضِحْكةُ في أسنان الخضرةْ
ما أطول عرجونك يا نخلة
ما أطيب حبَّات التمر المُحمرَّة
قالت لي: احذر أشواكي ... واحذرني،
هذي غرغرةُ المطلع في الموّال.
النرجس يعصرني في كوب، ويشمّ شراييني
الكرمة صاحتْ، وهي تراقبني:
مَزَّعتَ سراويلَ الشجرةْ
هل جدُّكَ سائقُ شاحنةٍ ... أم عتّالْ.!!!
كان مع الفجر، ضبابٌ يغشاني

يا نخلة ڤفِّ الماء:
مهرةٌ في الشموسْ
عنبٌ ... وضبابْ
وبقايا فؤوسْ
الندى قام ذابْ
في ثنايا القميصْ
وختمتُ العتابْ
وفْقَ نار الطقوسْ
قائلاً لرباب
قابليني الخميسْ
قابليني الخميسْ.
ناداها البعل، ونادتني امرأةٌ أخرى:
- أمسكتُ بشحفةِ عرقٍ صخري،
ورشقتُ الخزنة:
(أعطيني)، مهراً لعروسي
أنْطيني سنَّ غزال الطيف
أنْطيني، مهلة شهرين طويلين،
لكي أتدبّر هذا الحال.
حلفتْ لي، أني فارسها الأولْ
كم من داليةٍ حلفتْ، مثل قرنفلة كذّابة
لكن زلّت قدماها، قبل الترحال.
قالت لي: سبقوكَ، وقالوا: شهرين قصيرين فقط!!!
تنساني، قبل صعود الحافلة الزرقاء على التلّ المنسيْ
تنساني، قبل طلوع الشمس على الموّال الأندلسيْ
يا هذا
ستذوب الأفعالُ، تذوب الأقوالُ، تذوبُ الأقوالْ.

ناداها البعلُ،
ونادتني امرأةٌ أخرى.
حين انطبق الظلّ على الظل، امّحت الذكرى
حين تقابلنا في ترانزيت الغربة
حين تكهربنا في ترانزيت الزمن المحدود.
ظلّت عيناها تلحقني
حتى أدركتُ بأن المهر البريّ الموءودْ
في قاع الصحراء النبطية
يتراكض في اللغة البنيِّة
يتلمّظُ مثل النمرود.
ظلّ يناديني وحدي، وأنا وحدي،
أهذي وحدي، يا وحدي.
أرشفُ من زبد الذكرى
أتقهوى من عينين، تكحّلتا برماد الذكرى
في جزرٍ عذراءَ،
كبحّارٍ ألقى مرساهْ

أرشف من نهر علوَّاه.
ناداها البعل، ونادتني امرأة أخرى
وأنا في بئر ذهولي أهذي،
وأكاد أصيحُ: عَلوّاه.
علوّاه، علوّاه، عَلوّاه.

إن كنت تصدّقني ... كان بوِ

ينطفئ الفانوسُ، لأن الفارس فوق التلّةِ
يشتاقُ التذكارْ
ينطفئ الفانوسُ، لأن امرأةً من لَهَبٍ تتقدمُ
نحو شرايين امرأةٍ غجريَّة.
ينطفئ الفانوسُ،
لأن امرأةً أخرى
تشتاق إلى الرجل الثاني في الغار.
ينطفئ الفانوسُ،
لأن قطيعاً من رعيان المدن الصفراءْ
يتدافعُ صوبَ امرأةٍ بحرية.
ينطفئ الفانوسُ،
لأن الزيت الأزرق،
في أمّ المدن، احترقَ،
انداح على تمثال الحرية.
ينطفئ الفانوسُ،
لأنك تأتين وتأتين وتبكينْ
فلا يسمعك، سوى همهمة الليل القاسي
في الوعر ... ولا يسمعك رفيفُ الحَنّونْ
ينطفئ الفانوسُ، لأن هجوماً أخوياً
في الليل المطعونْ.
يتأهب، كي ينعف أحبابي في البرّية.
ينطفئ الفانوسُ،
لكي تتعثر سيدةٌ فوق الدرج المأفونْ
يسقطُ طفلٌ ... كان من الممكن في بهجة ضوئي،
أن يصبح صلباً كالزيتونْ.
ينطفئ الزيتونُ،
لأن ظريف الطول،
تفتش في الوديان المنقوشة في قلبي،
عن قش تشعلهُ،
كي تلهب هذا الغضب الأحمر في مرج شراييني.
ينطفئُ حنيني
أتنَوَّرُ يا سفحي
في الوعد الموعودْ
الريح الرملية في الفجر تعودْ.

يشتعل الفانوسُ،
إذا هبّت ريحُ البحر، اهتزَّ صنوبرها البحريْ.
في شاطئ صيدا
بل، قرب القلعةِ ... بالتحديد.
القلبُ يرفرف فوق سطوح القرميدْ.
في الأبيض
والأحمر
والأسودِ
والميّتِ
والبحرُ حنونٌ، يتموّجُ أوتاراً ... كالعودْ.
ينطفئ الفانوسُ،
إذا كان سراجُ الغولةِ،
يلمع في الشوكِ،
على الصخرةِ،
في مرج عُيونْ.
ذاك المرجُ الأخويُّ الحسّاسْ.
إن كنت تصدّقْني
كانَ بهِ ...
هذا عُرْفٌ كان جرى في الناسْ
لكنْ، إن كنتَ تكذّبني،
فاسألْ جوزيفْ،
أوْ فاسألْ: حسناً، أو شوقي، أو إلياسْ.
ينطفئ الفانوسُ،
إذا سقطت، قُربَ عمود النور قذيفة.

بالأخضر ... كفناه

يا أمّي تأخذني عيناك إلى أين!!!
بالأخضر كفنّاهْ

بالأحمر كفنّاهْ
بالأبيض كفنّاهْ
بالأسود كفنّاهْ
بالمُثلث والمستطيلْ
بأسانا الطويلْ.
نزف المطر على شجر الأرزْ المتشابك بين الأخويْنْ
وازدحمتْ في الساحات طيورُ البينْ
ثمّ حملناهُ على الأكتافْ
بكت المُزْنُ البيضاء بدمع شفّافْ
دمُهُ أخضرُ (ثمّ أغيّرُ قافيتي)،
زغردَ سربُ حمامْ
والبدوية تنتظر حبيباً،
سيزور الشام.
بالأخضر كفنّاه
بالأبيض كفنّاه
بالأسود كفنّاه:

يا أمّي تأخذني عيناك إلى أينْ:
كان خليلياً من صيدونْ
حِمصياً من حبرونْ
بصرياً من عمّان.
وصعيدياً من بغدادَ،
جليلياً من حورانْ
كان رباطياً من وهران.
مطرٌ في العينين، وتحت القلب دفنّاهْ.
عشبٌ في الرمل، وفوق القلب رخامْ.
بالأخضر كفنّاهْ
بالأحمر كفنّاه.
والبدوية تنتظر حبيباً، سيزورُ الشام الأمويَّة.

- كيف رحلتَ ولم تقرأ موتكَ،
في المدن الفضيَّة:

شعراء الورد الميتافيزيقي، انتحروا
شعراء العشب، انتشروا في الأرضْ.
بالأخضر كفنّاه
بالأحمر كفنّاه
بالأبيض كفنّاه
بالأسود كفنّاه.
البدوية زارتني، تحمل منشوراتٍ سريّة:
قالوا لي: اخرسْ، فخرستْ
قالوا لي: انطق، فنطقتْ
قالوا لي: ثالثة، لم أسمعْ

إنّي أتبعُ أحبابي، حيث يكونون.
لا الريح تُحاسِبُنا إنْ أخطأنا، لا الرملُ الأصفرْ
لا الموجُ يُنادينا،
إنْ خفقَ النومُ بأعيننا،
والوردُ احمرّ.
يا دمه النازف لا تصفرْ.
يا دمه ...
يا دمه ...
بالأخضر كفنّاه
بالأخضر كفنّاه
يتركنا، ويودعنا، ويقبّلنا بين العينين.
يا أمي، تأخذني عيناك إلى أين؟؟
ما بين النار وبين النار يموت
ما بين الطلقة والطلقة
ما بين الهمسة والحرف يموت
أثناء صياح الديك يموت
بعد طلوع الفجر يموت ...
لا تسألْ: هذي بيروت.
حربٌ من رملٍ، فجّرها الطاغوتْ
وأنا في الفخّ الأسود، لا أعرف كيف أكونْ
لكنْ، لن يفهمني أحدٌ، غيرُ الزيتون.
يا أمّي تأخذني عيناكِ إلى أين:
- شَجَرٌ كضفائر أمّي يحميني
من مطر الأيام الصعبة
أخضرُ أخضرُ، يغشاني،
مثل مياه خليج العقبة
وجذوري تنغل في قاع الكنعانيينْ
كان فتىً من ورق النعناع وصمتِ العِنّابْ
وله وجه حنطيٌّ أسمرْ
صلباً وجريئاً كالزيتونْ
ويحبُّ أغاني فيروز وعبد الوهابْ.
بالأخضر كفنّاه
بالأحمر كفنّاه
بالأبيض كفنّاه
بالأسود كفنّاه
بالمثلث والمستطيلْ
بأسانا الطويل.

سراج المشنّاق

الدمعُ هنا بين الأدغال المرويّة، بالمطر السحريّ
الأزهر، يتراكضُ في الغاباتْ.
ودماء الزنج، هنا، صارتْ مزرعةً عاشقةً،

حين انهمر المطر السحريُّ الأخضرْ
صار الجبلُ الصخريُّ، مزاراً للعشّاق، منارات.
في باب الشام، وفي باب الطاقْ
السُيّاحُ الأفواج، جماعاتٌ كالطير الراحلِ
نحو مساقط غيماتْ.
من بعد عجافٍ أكلتْ صخر الأرض، وأثداء الرمّانْ.
ثم تذكرتُ ينابيعَ الزيتون،
رأيتُ حبيبي بين الشلاّل الهادر،
والماء الصافي الفتّانْ
فأنشدتُ، وأنشدتِ الغاباتُ معي.
مدنٌ كالعشق، تقاطيع الغزلان.
بحارٌ كالعفو – ربيعٌ من عسلٍ ... وبناتْ.
قابلتُ البنتَ البيضاء القلبِ،
فما ابتسمتْ
طيلة جَلْستِنا
شربتْ وشربتُ
امتزج الدمعُ بنار الكأس، فأشرقت الأيامْ
قتلوا والدها في الحرب العظمى السرّيّة
وعلى مقعدنا الحجريِّ النمّامْ
مرّت أسرابُ النمل الأسودِ،
فوق الساقين المصقولينْ.
للكنعانيات ضفائرُ شقراءُ،
وفارعة، كالحورة قرب العينْ.
الحنّاء الخمري على الأوداجْ
اللوزُ الأخضر مزروعٌ في العينينْ.
كانت أمُّ الغيثِ الخَضْرا في الليل، سراجاً وهّاجاً،
غائبةً كانت في طرقات المنفى،
في أدغالٍ، لا حدَّ لعينيها السوداوينْ.
وطلبنا من صخر الوادي أن ينطقَ،
من نبع الجبل الأشيب أن يتغنى
بأبي الراحل، والمطرودِ من الصفّينْ.
يا أمي انطفأ سراجُ العشاقْ
في عتمة باب الأسباط، وفي باب الطاقْ.
أتوهج مخفوراً ما بين اللونين
يا أمي ... تأخذني عيناك إلى أينْ
تأخذني ... عيناكِ ... إلى أين؟؟؟!!!

ظلّ يركض ... حتى الرصاصة

أقترح الآن، بديلاً، للصمت المتوحّش،
هذا الرابض في أركان شوارعنا
الممتلئةِ غيظاً ودماء.
حيثُ، الهَمَجُ الزُرْقُ، وتُجّار الأسلحةِ الفتّاكةِ،

قدْ حفروا في الرمل العربيِّ،
علاماتٍ زرقاء وخضراء وصفراءْ.
أقترح الآنَ، بديلاً للمدن الميتة العزلاء:
أرفع راية غاراتي المشهورة في الصحراءِ،
فتَتْبَعُني الساعاتْ.
يَتْبعني المطرُ – الريحُ – الوحشُ الضاري،
الوردُ، الغاباتْ.
تتبعني الأشجار، الأنهار، العربات.
لأغازل عينيك الزرقاوين، بسيفي الموتور.
بالريح الشرقية، بالأسماء.
ماذا أعددتَ من: الخيل – الليل – رماح البيداء؟؟؟
..... هل صار الإسفلتُ جريحاً،
يركض في العاصمة الوثّابة
هل نام الشيخُ قريرَ العين؟؟
هل أصبح سمكُ البحر المتماوج، في الغيم الداكن،
حوتاً، يحكم مملكة الماء؟؟؟
هل وصل المكتوبُ لأمّي، دون رقابة؟!!!

- كنتَ تغنّي، في سرّك، وحدك، في الحافلة الزرقاء
أحزانك، صفراءُ، وبُنِيَّة
كوثيقةِ رعبكَ في عبّكَ، ملْساءُ كأفعى
تنساب على صدرك، مثل السرطان النهريْ.
أصبح بين الموت، وبينك، حدُّ الشفرة،
هل تصبح أيامك، كالورد البرّي الأحمر
في ليلة عرسك، يا هذا،
مطرٌ من سقسقة عصافير البحر الولهانْ.
هل يمحو الحاجزُ تلك اللحظاتِ البيضاءْ
هل تصبح أنت الحامل سلّتك، المشبعة،
بأنداءِ عناقيدِ كريستالٍ مشقوقْ.
مرمياً في سوق الأيام الحُرَّةْ:
مَنْ يأخذْ هذا الطير الأزرق، فالسوقُ كسادٌ،
والحسرةُ تتبعني، كالمهرة!!!
أمي – هل تصل رسائلها، بعد هبوط النجم،
وبعد هبوب الريح الشرقية
لكن البارود، يلعلع في ساحات بياضٍ، كالخبز المرقوقْ.
ما هَمَّ: دعاءُ حبيبي، يحرسني
ووحيداً كنت محاطاً ... بالأعداء المدنيينَ،
وفي أيديهمْ ألوانُ القوس، وأفئدةٌ حجرية.
رملٌ ... لترابكِ، أبكي في هذا الليل الموحش وحدي.
ولهذي الرمضاء.
ونبيذٌ ... لكرومك طعم الورد، وعطر الأجداد الكرماء.
ودماءٌ ... لا يرجع وادي النار،
المتحفز، غير النار الحمراء.

- سكرتَ إذن، بعد أن خلّفوك وحيداً ...
وثيقةُ قتلكَ في يدك الآنَ،
جاوزتَ حدَّ الغناء.
وها أنت، لا ظل يحميكَ،
لا الرملُ
لا المدنُ، الزينة، الببغاءْ.
سكرتَ إذن بأغاني الحقول – الحصاد – النساءْ.

- يا زعتر ... ماذا تعني، حرب الطبقات؟؟
- أن نحمل سلّة أفراخ حمامٍ، أن ننشد أشعاراً،
ضدَّ نساءِ العرباتْ.
يا زعتر، ماذا تعني الصحراء؟
- مدناً لرعاة البقر الشُقْر، استديوهاتْ.
- والحاجز؟
كانوا في الحرب الأهلية في مدريدْ
قد ذاقوا الويلاتْ
كان الولد الأندلسيُّ، يبيع حماماً مثلي
في كل قصائده الزرقاء.
كانت أمي تنهرني في الزمن الطفل،
فما كنتُ أردّ عليها
مرّغتُ دمي في الدِمَن الخضراءْ
خضراءُ الدِمَن الآن، رصاصٌ لعلعَ في الأرجاء.
ها هي، لحظة موتك تحضرُ، والنجمُ الأسودُ،
يضحكُ منك، وأنتَ وحيدٌ، مثل يتيم في جبل المرمرْ.
- اركضْ. اركضْ يا زعترْ:
يا زعترُ ... من أيِّ منظّمةٍ أنت؟
- من صخر أريحا!؟
من حقل البطيخ الأحمر!؟
من دالية الكرم،
ومن جبل القفزةِ،
فاقفزْ، اقفز، اقفز يا زعتر.
كان الحاجزُ، يتأهب للقتل، وطارتْ منكَ حماماتْ.
وكما النمر، ال عرف عدوّاً صلْداً،
يتجوّلُ، مزهوّاً في الغاباتْ.
وخصوصاً، حين يكون النمر الريفي، وحيداً،
تحت الأشجار.
يقرأ شعراً لجذوع البلّوطةِ والأنهار.
والمطر البلوريُّ الناعم، يهذي،
للغيماتِ الشقراء.
ركضَ الزعترُ. هل تركضُ نحو سمائك، يا زعترْ
اركضْ، اركضْ، اركضْ
هذا وطنٌ أخضرُ، والحاكمُ صحراءْ.

- ظلّ يركضُ، حتى المساء الأخير، وحيداً
وحيداً، حبيبتُهُ في أريحا النبيذ العتيقْ
الرصاصُ الذي يعصر البرتقال.
وكان الحزينُ المبكّرُ في الصحو، يركض،
هم يركضون وراء الحزين المبكّر في الصحو،
ها أنت تهوي، كنجمٍ عريقْ
وهُمْ يركضون وراءك بين ركام العمارات،
قرب الحريقْ.

... ...
- يا زعتر كنت تبيعُ حماماً،
فلماذا قتلوك!!

... ...
- يا زعترُ ... حين صحوتَ، استأسدَ عصفورْ
كانوا قد غطّوا في النومْ
قتلوك قُبيل هجوم الديجورْ
يا عيب الشومْ
يا عيب الشومْ.

- (كافٌ) كبرتْ أعوامي
ها، أنذا، أحمل أشعاري وأسيرْ.
- (ياءٌ) يشتاقُ الواحدُ منا يا أمي، الآخرْ.
- (سينٌ) سأل الصحفيونَ،
إذا ما كان الزعتر، يفترشُ التابوت.
- (نونٌ) نادى، حتى يستيقظ،
أحفادُ الليمون، اللبن، العسل،
العنب، التوتْ.
- (جيمٌ) جَمْجَمَ أغصاني، حارسُكِ الأسود يا بيروتْ.
- (راءٌ) رافقني الحلْمُ المدفونُ المكبوتْ.

عجلاتُ المنفى، تدهسنا يا أمي، فلماذا قتلوكْ
كُنتَ تبيع حماماً، فلماذا قتلوكْ
في الزمن المكّوكْ
فاشدُدْ بترابك، يا هذا، حتى لا يُدميكْ.
اشْدُدْ بحديدكَ ... يحميكْ.

يا أخضر ... إنّهم يتربّصون بك !!!

لهذا الصباح المبكّر جداً، مزايا ... بُروقٌ، رعودْ
نَمَتْ لهفتي، حين شاهدتُ هذي الحشودْ.
وبيني وبينكِ، بحرٌ، ونهرٌ، ومقبرةٌ، وسدودْ
ألا تسمعين الرصاص يلعلعُ،
في قُبّعات الجنود!!!

بلى، إنك الآن في سفح عيبالَ،
بين الهوى والرصاص، أفيقي
وطوفي الشوارعَ، شوفي الجُحودْ
لمنْ هذه الوردةُ الطيفُ، تركضُ فوقَ جبيني،
وفي شريان الحنين الوَدودِ الأكيدْ.
لهذا الصباح المبكّر جداً، مزايا تفوق الكؤوسْ
أمِنْ هذه الدرب، مرّتْ،
وفوق الثرى، تركتْ خطواتٍ،
ووقّعَ الصدى في الرؤوسْ
بلى
إنهم يزرعون الجرادَ، وبيروتُ ليستْ لنا
يا رغيفَ الحَصيدْ.
بلى، إنها للجنود، يهزّون أردافها،
للوزير المفوض، يعقد مؤتمراً صحفياً،
يرددُ ما علّموهُ،
وتلتقطُ السيداتُ، الردودْ.
معاً يا حبيبة قلبي
نظلُّ،
وإنْ، وضعوا النار بيني وبينك،
نبقى معاً،
تزرعين القنابلَ ضدَّ الرداءةِ،
نحن نقاتل ضدَّ الحدودْ.

* * *

الخليلُ دمي طافحٌ،
فوق هذي البسيطةِ،
النجمُ صوتي، وأهلي،
مع الليل، قالوا نطاردُ غزلانَ برّيةٍ،
قد هوى النجمُ،
النجمُ بوصلةُ الفقراءْ.
ما الذي يجعل الدمعَ ناراً،
هديلَ الحمام، أناشيدَ للثورة المستجدةِ فينا،
وصوتَ العصافير، قيثارةَ الاحتفالاتِ،
والمرجَ والكرم، ذاكرةً للصعاليك والأشقياءْ.

مجرّد وصف

- أصف الزعرورَ،
أقولُ: رمادٌ أخضرُ، ينمو في ذاكرتي
هذي الصفة الأولى، لغيابي.
وأقول بأنك يا بيروت، صليبٌ كُتِبَ علينا
هذي الصفة الثانية، لأحبابي.
أصفُ البلّوط،
أقول بأنكِ، جرحٌ مندملٌ مزروعٌ

في زمن القهر،
وأنَّ رحيلَ الأشجار، عذابي.
أصفُ البحر، أقول بأن الأمواج الزرقاءْ
علاماتٌ، تتناثر جزراً في النص المفتوح.
وأرى في نجران، نداماىَ،
إذا داهمهمْ حزنٌ،
يمتشقون السيفَ، يقولونَ:
اقتربَ إيابي.
أبداً، تبقى المقصلةُ الأخويةُ،
غصناً، لجفافٍ يأتي
وأزيز النار.
غمغمةُ الطفل، إذا احتدَّ،
رأى الغيلانَ، تغنّي لمشاهدِ قتلِ:
- يتقدمُ أحدُ الحرّاس، ليخلع عيني طفلٍ،
ثم يجيء الآخرُ، يفتح نفقاً،
شلالَ دمٍ، في جبهة طفل آخر.
هل أصفُ المشهد، كالتالي:
طفلٌ جاء من الأعشاش، القصدير،
التنكيةِ، يصطاد الرزقَ من الأسيادْ.
يأكله الهم، نهاراً، ليلاً
ويجوعُ، فيأكلُ قمحَ الغربةِ،
جدران المنفى، عطر الأجداد.
ويضاف لذلك، أن الطفل بكى
وتقدَّم للموتْ.
كان الفاشست، يُصلّون لربّ الحربِ،
ويقتلعون الزيتونْ.
فاجأه أحدُ الحراس، تسمّر فوق الإسفلتِ،
تدثَّر بالصمتْ.
أبداً تبقى القُبلةُ في الحقل، كطعنة برقٍ، في ذاكرتي،
وأناديكِ،
أوَ لا يغويك نشيدي، في آخر هذا الليل،
المفعم بالليمونْ.
الكُحْلُ بعينيكِ،
الرغبةُ في أعينهمْ،
هل تتساوى الرغبةُ بالفعل،
الصُحفُ الملأى ثرثرة، بهديل حمامٍ في غور أريحا.!!!
الزمنُ القادمُ فجرٌ صعبٌ،
مُهْرٌ روّضناه طويلاً
من بيروتَ إلى غزَّةْ.

بيتٌ قرب القرميدِ، على أشرعة الشربينْ.
ويطلُّ على البحر،
يعانقُ أشجارَ الأرز، ويحميني

من زخّات المطر، ومن دقاتِ الشرطةِ،
فوق الأبواب البيضاءْ.
الشاعر لا يسكن في زمنٍ، أوْ يأوي في أمكنةٍ،
بل يقرع أبواب المُطلقْ
أزرق يا أزرقُ يا أزرقْ:
الجبلُ أمامي، والبحر ورائي،
والفرسُ الخضرا بين الأحراش السمراءْ.
هل أكتبُ أنَّ المنطقة العليا،
تعني المنطقة السفلى
هل أكتبُ أنَّ الليلَ، بياضٌ،
أن القمح رمادٌ،
أن الماء دمٌ،
والضحك بكاء؟؟
- لم يعلمْ أحدٌ في الحارةِ،
أمي، لا تعرف أيضاً،
أني أسكن في الحدّ الفاصلِ،
بين الحجر، وبين الأنواءْ.
بيتٌ قرب الغيلانِ،
يطلُّ على قلبي في النصّ المفتوحْ.
وأبو الليل الأخضر، ذكّرني بالموتْ:
من يرقص تحت الشبّاكِ،
يغني للوطن الذابح والمذبوحْ:
- نيرودا، عصفورُ الحقلِ
على أشجار النخل،
أراه طريداً في البيداءْ.
- غسّانُ، التحف الشالَ الأحمرَ،
مدّ جناحيه على المرج،
يداعب قُبّرةً،
وينادي: الماء الماء الماء.
أسألُ من يرويه، إذا نادى
في آخر هذا الليل:
الماء الماء الماء !!
- هذا الأخضر، يرويه ويحميهِ،
إذا غضب المطرُ،
انشقَّ القمرُ،
ومن غير الأخضر، يروي الصحراء.!!!
لكنَّ الغيلان اقتلعتْ باب الدارْ
و (كفافي) ينتظر برابرةً قرب الأسوارْ
نامت فوق حرير أسرّته الكشميرْ
أمّا – جاك بريڤيرْ
فتح القفص لعصفورْ
لكنَّ الغابة صارت
سجناً للعصفورْ.

يا زمني القاهر والمقهور.

أرى

- يا أخضر القسَماتِ، يا ريح الصبا
إني أرى، ما لا يُرى
وأشمّ رائحةً، وأعرفُ،
أن درب الشوكِ،
يمكن أن تطولْ.
يا سيدي، وأرى المدائن في سُباتٍ،
والدمَ الغالي النبيل.
وأرى الهضابَ، تعمّها هوجُ السيولْ
وأرى العصافير الجياع،
أرى البراكين التي
ثارت، لتخضرّ الحقولْ.
وأرى زماناً، أخضر القسَماتِ،
يوشك أن يقولْ:
إنْ لم نَشُدَّ الخيلَ، ساختْ،
تحتنا، الأرض البتول.
إن لم تُفجرها، وتشعلها لهيباً،
للسما الزرقا
تحجّرتِ العقول.
إن لم نقُلْها في وجوههمُ،
سنصحو ذات يوم، فوق سمراء الطلول.
يا سيدي إني أرى، ما لا يُرى
(وأشم رائحةً،
أرى سُماً شهيّاً، قدّموهُ، لقتلنا ...
هُو في طعامكْ.
وأرى الخليلَ، حبيبتي، نَهْباً لتجار الممالكْ).
وأشمُّ رائحةً،
فحاذرْ، إنهم حرباءُ، تظهرُ في الفصولْ
أخشى، إذا طلع النهارُ،
تصيرُ بيروتُ – الخليلْ.

سأكتبكِ كثيراً يا أمّي

كلّمتُ البحرَ ... وما ردَّ عَلَيْ
كلّمتُ العصفورَ الأزرقَ،
حين تباطأ فوقَ صخور البحر،
وما ردّ عليّ.
جرّحتُ القنديلَ البحريَّ
وما ردَّ عليْ.
كلّمتُ الجسدَ المرميَّ، وراء المتراس،
وما ردَّ عليْ.
كلّمتُ حبيبي في القبر المجهول،
وما ردَّ عليّ.
يفترشُ الزعترُ في الليل، عباءتَهُ،
فوق العشب الأصفر.
يملأ كأساً، لم يشربْ منها، أحدٌ من قبلُ،
ولن يشربَ أحدٌ منها، من بعد.
يشربُ كي ينسى.
الزعتر، قابلني في المشفى، مجروحَ العينينْ.
الزعتر، قابلني في الشارع، يطلبُ دعماً وصموداً
من بعض لجان الدَعّ ... الشعبية
الزعتر كَبَّرها،
قالت طبقاتُ صراصير المقهى،
الواقع،
في الجهةِ اليُسرى،
من مزرعة الأرقام المهجورةْ.

- يتثاءبُ في المقهى
ويغازلُ قرداً مربوطاً في شجرة بلّوطٍ،
زرعوها من سنةٍ مرّتْ،
قبل الحرب الأهلية في بيروتْ.
سأعاتبك كثيراً يا أمي
فالحق، الحق، صموت.

- يحمل قنبلة، ويبيع البنزين المغشوشَ،
الوهمُ الأصفر، عضوٌ في كل لجان الدعِّ ... الشعبية
ينفخُ غليوناً من خشب الزيتونْ.
- سأعاتبك كثيراً يا أمي.

- يجلسُ فوق الطاولة الزنجية، أرجيلتُهُ،
تتبكبكُ،
والأوضاعُ الراهنةُ على مقربة من قدميهِ،
جنازة.
سأعاتبكِ كثيراً يا أمي ... بيروتُ مفازة.
سأعاتبك، كثيراً يا أمي، قال الزعتر:
ترمين حبيبكِ في البحر الأسود، والميت، والأحمر.
ثم تقولين: اسبحْ في البحر الأسود والميتِ،
وتمخترْ.
سأعاتبك يا أمي.

راهب المزلة

راهبٌ عابرٌ في الشوارع،
يقرأ حزن الطيور المقيمةِ،
حول شواهد أهلي،
بتلك الروابي.
راهبٌ يقرأ الأرضَ باللغة العربيةِ،
يقرأ هذي النقوش القديمةِ،
يقرأ حزن الجبال العتيقةِ،
حزن النوافذ، حزن الخوابي.
راهبٌ جرّب النفيَ،
من منكُمُ جرّب النفي، والصلبَ،
يومَ الأحدْ!!!
حاملينَ نياشينكمْ،
كلُّها كذبٌ، يا طواويسَ، هذا الزمان الرديءْ.
تبصقون على جثث الشهداءِ،
وترمون كلَّ بريءْ.
راهبٌ مُفْعَمٌ بالضياءِ،
تأخر عن بهجة الكرنفال،
فهل يكفر المؤمنُ الصَلْبُ،
لو جاء في زمنٍ لا يضيءْ ؟؟؟!!!

هذه الدربُ تُفضي إلى القتل،
سيّان، أن تكتوي باللظى والصهيلْ.
إذا ما رفعتَ شعار الهوية، قرب الخليلْ.
هذه الدربُ، تفضي إلى الوجع المزمن الهارب فينا،

المقيم بنا
والدروبُ سواسية،
وإن اختلفَ الشكلُ،
بين اليباب، وبين هواكِ البليل.
هذه الدرب، تفضي إلى الحقدِ،
مرعبةٌ هذه الليلة المستجدّة فينا
ولا فرق في الجوهر المتمدد في القلبِ،
كلُّ البلادِ أسىً واغترابٌ، دموعٌ،
فراقْ.
والذي سيمدُّ اللسانَ، لكلِّ الأماني الصغيرةِ،
طفلٌ، كأني مزار عتيقٌ،
كأني ولدتُ، وقد منعوني من الاشتياقْ.
المقابرُ لي
التشرد لي
التمزق لي
التباعد لي
وهذا الرحيل الطويل.
كلُّ شيء خذوهُ، ببلطاتِكمْ ثمّ أصواتكمْ ... والذراعْ.
كل شيء خذوهْ:
رمادُ القبيلةِ ينطقُ،
يمتشقُ السيفَ طفلٌ بلون الورودِ،
يعانق فيّ اقترابي،
من الغضب المستحيلْ.
كلُّ شيءٍ خذوهُ ... التواريخُ مِلْكُ الزمان،
المخبأ فينا، ولا من متاعْ.
من ترى منكُمُ،
حارب الحقد في قلبه مرةً، واستعار الحنانَ،
من الناس، والشجر الساحلي، وموت الرفاقْ.
من صهيل رياح السفوح،
ومن رقصة اللوز،
من صخرة، مرّ فيها البُراقْ.
هذه الدرب، تفضي إلى القتلِ،
من خانَ أمّي،
يخونُ أبي،
في زمان الخنا.
هذه الدربُ تفضي إلى القتلِ،
أمّي: حنانيكِ، صوتٌ فريدٌ، أنا.
عندما يهبط الليلُ في الرملِ،
ثم أراك تنادين في الفجرِ،
مثل يمامة وادي العَسَسْ.
أقول: الغناء لأمي
وهذا التوجّع أمي
وفي دار أمي فرَسْ.

تحمل الهمّ، تصهل، بيضاء، شهباء، قيلَ،
وقيل: حماميةُ اللون،
إنْ هجم القهرُ فجراً،
يرنُّ جَرَسْ.
للكنيسة صوتٌ حنونٌ،
لأمي ضفائر سوداء،
مثل ليالي الخليلْ.
أكتب الآن من شارع يتمدّدُ،
بين التوابيت، فوق أكفّ الزغاريد، مبحوحة كالطبولْ
والرمال التي ضاع فيها الدليل.

ـ نلتقي الآن، هذا الصباح نديٌّ،
وأنتِ تأخرتِ عن ثلج هذا الصباحْ
لماذا تأخرتِ، هذا البياضُ،
يدحرجني مثل تفاحة طازجة.
وأنا واقف تحت مقصلة الانتظارْ.
وكم من رصيفٍ تلامس فيك،
أرى فيك مرّ الصباحاتِ،
يا فتنة العرب العاربة.
تولّهتِ،
هذي المنافي قبورٌ، وهذا السوادْ
وهذي الحجارة، ليست لنا ... إنَّها للرمادْ.
ثم، إني تناثرتُ عند المغيبِ،
وكانت مطاراتهمْ،
تفصل الشوقَ عن حُبّهِ في الزقاق،
ونحن الجريحين من عهد – عاد.
ثم لا أكتم الشجر الأخضر المتناثر،
في سفح جرزيم، أن أنحني وأقولْ:
الرحيل من النيل حتى الفراتْ
ومن بردى، للخليلْ
كالطريق الطويل من الجرح
حتى التوهج في ساحل المستحيل.
ثم ... إني أقولُ:
ولن تعرفي، أيَّ ظلٍ يلاحقني، سأقولْ:
طاف بحر العَتَبْ
راهبٌ من غَضَبْ
ليس غير الرصاصْ
لغة الاختصارْ
وطني عقدُ ماسْ
وطني من ذهبْ
ليس غير القصاص
في ربيع العتب.

-(تعرفين الراهب، المتشح بالسوادِ،
الحامل القناديل، إلى دير سانت كاترين
المفعم بالإضاءة الأرضيةِ،
إنه يتجه إلى القبو،
يلقي السلام على سيدةٍ تنزف شراييـنها).[1]
- عندما يرحل الراهبُ المستضيءُ بزيت القناديل،
كان اشتراه من الشجر الأخضر المتناثر،
في بيت لحم السماءْ
عندما يرحل الراهب المتجدد فينا،
وفي قلبه هاجس كالبراكين،
لم تعترف بلدةٌ في المنافي بهِ،
قيل: كان يُحبُّ أزيز الحَطَبْ.
عندما يرحل الراهب المستضيء بزيت القناديل،
نحو الطفولةِ،
أعني تِلالاً، رآها على البعدِ،
شرقيَّ حقل الرعاةْ.

- (في شهر آذار المبلّل بالرذاذ
يدحج الشنّار على عشب الوادي
تكون الشمس بين غيوم وادي النار.
وتلمع في السماء النوافيرُ،
مثل خوذة جندي، عاد إلى الأهل سالماً،
يكون تل الفرديس خاشعاً كراهبٍ،
في رأسه دخانٌ قديم
قيل للجن، مهبطٌ فيه، وقيل:
أبي مرّ من هناك
في أيام القتل الأولى
أيها التاريخ المتناثر في مغائر الأعراب
من أصابع قدمي، حتى جلدة رأسي):[1]

- راهبٌ عابرٌ في الشوارع يقرأ
حزن الطيورْ.
راهبٌ من رمال النَقبْ.
راهبٌ من قواقع صيدا وصور.
من جبالِ فلسطينَ ... لكنّهُ من حَلَبْ.

أمـــاكـــن

أيقظوها ... طفلة تهوى الهدوءْ
تحلم الآن بأعشابٍ،

, – مقطع نثري .

, – مقطع نثري .

ستنمو، وبروقٍ ورعودْ.
أيقظوها،
كان وادينا، سيحمي ظلَّها الممدودَ،
في عَرْضِ الطريقْ.
أيقظوها،
وهي تمشي في الضبابْ
سكتوا ... لم يطردوها
نحن نحميها، إذا عزّ الصديق.
أيقظوها،
طفلةً خضراء في حضن الجبلْ
حملوا كلَّ المعدات الثقيلة
راهنوا ألاَّ تصلْ.
أيقظوها، دمّروها، أحرقوها ...
بثياب العرس والحنّاء والزهو الجميل.
رغم هذا، قاومتْ حتى الأصيلْ.

- 2 -

تنتظرين، وتنتظرين، وتنتظرين
وتموتين، تموتينْ
شوقاً ... وحنينْ
تنتظرين وحوشاً، بعد قليل يأتونْ
وعلى شبّاكِكِ، تنتظرينْ
في صفّك، تنتظرين
في المدرسة الشعبية، تنتظرينْ
العاشقُ مجنونْ
الشاعر مجنون
الحجر الصامت سكّينْ
الأشواق جنودٌ تزحف في حطّين.
الطير الأخضر يأتيني، آخر هذا الليل،
ويخبرني.
الطير الأسود ينكرني.
والأعداء، الأعداء، الأعداءْ
يأتون كما الطاعونْ
ويقيمونْ
سدّاً في وجه الحلم الساري
في النهر البارِدِ،
في الدير القاسي،
والحجر المسنون.
إني أعشقكم، وأنا أتبع أحبابي
حيث يكونون.

- 3 -

افتح بابكْ
فأنا الحلُمُ القادمُ من أوجاع الصيفْ

إني دندنةُ الطلقةِ، وبريقُ السيف
سأقيكم شر المطر، وشر الكثبانْ
افتح قلبك، افتح بابك ... إني عطشانْ
وتظل الليلة، تسألني في جلستنا ... كيف؟؟
الليلة هجموا كالغربان.
السيدةُ الرابضةُ النعسانةُ،
في ردهاتِ القصر، ستنكرني
لكن الأشجار معي
والأنهار معي
حتى الحجر الصوّانْ
يفتح لي قلباً، لم يُفتح في أي زمان ومكانْ.
حينئذٍ لملمتُ جراحي
أطلقتُ النارَ على قطعان الليل.
الأشجارُ معي
والأنهارُ معي
وحتى الحجر الصوّان.

- 4 -

تتمايل في البحر، وأذكرها
تتمدد فوق الشاطئ عاريةً، وضفائرُها
كضفائر حوريات البحرْ
البحر الأسود، يركع ويصلّي
يا عمّي، هذي صيدا
وأنا فارسها المجهولْ
المقهى ينتظر وحوشاً
الشاطئ ينتظر وحوشاً
وأناشيدُ المدرسة الشعبية، تنتظر وحوشاً
السفن الزرقاء كذلك، تنتظر وحوشاً
وكذلك أرصفةُ الميناءِ، وعمّالُ الميناءْ.
آتيها، والصيف، يقبّل قلعتها
سحرٌ يتجول بين مبانيها
تتمايل فوق البحر، وأذكرها
كعرائسَ تحت الحَوْرْ.
كان – أبو النور – الأخضرْ
قد نسي الساقَ على الشاطئْ
فضممتُ الساقَ إلى الساق،
اكتملتْ حينئذٍ، أعضاءُ أبي النورْ.
صيدا تتمايل عند البحر، وأذكرها
صيدا شقراء وطفلة
ألحقها في الحلم، وأغويها
كيما تذكرني في العام الصعب القادمْ
صيدا تتجمّل، كالسيف الصارم
لكنْ

إن قلتُ لها: يا حبي، قتلوها.
صيدا ... تلحقني
الصدفُ الأحمرُ ... يلحقني
وكذلك صيّادوها.

- 5 -

كانت تأتيني، منتصفَ الليل،
تخونُ الزوج الخائنْ.
عاشرها طيلة أعوامٍ،
يطعمُها الجوعَ، ولكنْ، يعتذرُ إذا غضبتْ،
نظراً للظرف الراهن.
والظرفُ الراهنُ، صار قروناً ومدائنْ
حينئذٍ في الفجر، دقدقتُ على الأبوابْ.
صيدا، صاحتْ بي:
عني، رحلوا، قبل طلوع الفجر الأشقرْ
امتشقوا طلقات الغضب المجنون الأزهرْ
قذفوها في وجه الزوج الخائنْ.

- 6 -

زَحفَ الأحبابُ إلى الأحباب المسجونينْ
بقيود المهزومين الجُبَناءْ
المهزومون الجبناء، أذلّوا الأحبابَ المسجونينْ.
زَحفَ الأحبابُ ... امتدّوا،
كانت شجرات الموز تغني،
النهرُ، وجسرُ الحبِّ، وآهاتُ المظلومينْ
جاءوا من قلب الصحراءْ
فكّوا أصفادَ الأحبابِ المسجونينْ.
لا نطربُ، حين بيارقُنا
ترتفعُ على الحيطانْ
جئنا لنفكَّ المسجونَ،
ونعتقلَ السجّانْ.

لن يفهمني أحدٌ غير الزيتون

تلك آثارهُمْ،
من يدلّ حبيبي على خطوهمْ
جاء من جبل النار يسألُ،
إن كنتُ من ضمنهمْ.
غير أني صرختُ، كما الريح،
حين تقابلُ أبناءَها الغائبينْ
كان كفّي، وقلبي، على جرحهمْ.
إنها الجولة الخامسة
إنها الجولة السادسة
قيل هذا، ولكنني، حين أخلو لنفسي، أقولْ:
إنهم
رغم هذا الشتاء الرصاص،
ربيعٌ ... ونيلْ.
تلك آثارهم
سأناديك: حمراء حمراء،
مثل الشقائق نبضي،
وأنت الغيابُ الطويل الطويلْ
تلك آثارهمْ،
إنني راكض خلفَهُمْ.
خلفهم، خلفهم، خلفهمْ
تلك آثارهمْ
اخرسي ... إنّه، إنّهمْ.
إنه دمهمْ ... والعطورْ
تلك أشواقهم ... دمهمْ
مثل أصداف صيدا وصور
حين يأتي الشتاءُ الرصاصُ، اخرسي
ثم ناجيتُ زيتونةً، جذرها في الجليل.

- هل كان يبيع التبغَ الأشقرَ في الحاراتْ
هل يمسك بالمرجان الوردي النعسان.

هل أمي، ما زالت قرب الغيم، تقيمْ
وتغنّي لعصافير الفجر،
أشاهدها في حلمٍ ظمآنْ
هل زارتْ أمّي عمَّانْ
اشتعلَ القلبُ بياضاً يا بيروتْ
في بحر يمشي، نحو حدود المطلقْ
موسيقا يا موسيقا
أخشى في بحر الموسيقى التكتيكية،
أن أغرق.

- الأخضرُ أوعدني، والأخضرُ، حين يقولْ
يفعل، ما قالته حبيبتُهُ الخضراءْ
والأخضر جذرُ الأرض،
صديقُ الشمس الحمراءْ
الأخضرُ صوتُ الحجر الناريِّ،
وصوتُ الآثارْ.
الأخضر مرسالُ النار إلى النارْ
الأخضر يولد حين يموت.

- آه ... لا تغضبي،
كنتُ في الرمل، أقرأ ريحاً،
رصيفاً، ووعداً،
وغنيتُ للرملِ، حتى ينامْ.
ثم لا تغضبي
كلّهمْ ذكروكِ،
ولم يذكروا شامةً في الشفاه
ثم لا تغضبي
إن تأخرتُ فجراً، هنا في بلاد اليباب
حاولوا، حاولوا، حاولوا
فإذا أزهر التبغ في قريةٍ،
سقطوا تحت أقدامنا كالكلاب.
حين يشتدّ برقٌ، أعي،
أن باب الخليل هنا،
في الشرايين، والقدسُ صارت إياب.
* * *

- بالأمس
ذليلاً كنت أزورك،
واليومَ يزورك أبناءُ الزيتوناتْ
وأنا أعرف أنك كنتِ كأرملةٍ،
تنتظرُ الغيمَ من الصلواتْ.
وسكبنا دمنا في صمت بياضكِ يا بيروت.

لن يفهمني أحدٌ غير الزيتون البري الكنعانيْ

لن يفهمني الوقواقْ
لن يفهمني المرمر في المقلع، والنقشُ السريْ
في سفح يقين القلب السابح في النهر الرقراقْ
قرب مغارات الأنباط على الجبل الشرقيْ
الأديرةُ الغرقى في قاع البحر الميّتِ، لنْ تفهمني
لنْ تفهمني شجرةُ لوزٍ، ليست عاقرةً يا بيروتْ
لنْ يفهمني، البرقُ المكبوت.
لنْ يفهمَني الدكتاتورُ الطاغوتْ
لن تفهمني، ميلشياتُ الغاباتْ
لنْ يفهمني، طيرُ الليمونْ
لن يفهمني، أحَدٌ،
لن يفهمني أحدٌ، غير الزيتونْ

صفصاف الدير

ثمّةَ، وجهٌ، يُنقشُ،
في شريان الشجرة، منسجماً،
مع خيط الفجر المكلومْ.
ثمّتَ، طفل يكبر، يحمل ثورته منحدراً،
نحو سفوح جبال مدينتنا،
يتجلّى فوق الجبل الغربي.
يقرأ في قاع الشجرة، تاريخاً محفوراً،
من زمن السيّد إبراهيمْ.
ثمّتَ، نقشٌ في باب الساهرةِ، سيحكي
يرفع صوتاً نحو الجبل العالي،
ويقومْ.
وهنالكَ، بركُ سليمانَ، يغازلها الصفصافُ،
يمرّ أبي ... بهدوء، فأخاف.
يوشك أن يوقظ في الليل، سدوم.
أسمعُ همهمة حقول الزيتون،
وأسمعُ غمغمة المدن الصامتةِ، أقولُ:
البركانُ يدمدمُ،
أخلعُ في الليل إزاري،
أسمعُ صوت المدن البيضاء، تناديني،
مدني لا تخلف ميعاداً، يا خيل الروم
ثمّتَ، طفل، يقرأ ذاكرةَ الخضْر،

يغني، للصفصاف، العنب، الشيح،
القيْصوم.
ويحاور صلبانَ السيّدِ في الفجر،
أمام الأسوار السوداء.
وكذلك يمشي أثناء النوم، يكلم سيّدَهُ،
إيل فلسطينْ.
ويكلم أشجاراً دائمة الخضرة في دير الطينْ
ثمّتَ، طفلٌ يركض في قلب الزنزانةِ، طولاً،
أو عرضاً، حتى تسقط في السجن،
سماءٌ، وسماءٌ، وسماءْ
حينئذٍ، يطلع صفصافٌ في ذاكرةِ العُزلة في الصحراءْ
تنبعثُ الأشياء.
يصبح طولُ الزنزانةِ،
وطناً، مزروعاً بالخُضْرةِ والماء.!!!

امرؤ القيس يصل فجأة إلى - قانا الجليل

أفتتح كلامي، وأقولُ: الآنَ، الآنَ، الآنْ.
الآن، كلامي يصبح، كالخنجر،
كالطعنة، كالسكّينْ
الآن ابتدأتْ كلماتي، تتحول نحو البحر،
وتلتقطُ حصاةً من شاطئهِ الحجريِّ، وترميها،
في وجه المرتدّينْ.
فاعلمْ أنكَ منذ كذبت، تعضُّ النابَ،
وتبكي الكثبان.
واعلم أنَّ الصدفَ الأحمر، والصدفَ الأخضر،
في الشطآن
لم يذرف، دمعةَ حزنٍ من أجل ضحاياكَ
المرميّة في (صيدونْ).

واعلمْ، أنَّ الزيتونْ
يكرهك، كذلك تكرهك، شُجيراتُ النبع،
وأوراقُ الزعتر والليمونْ
وستأتيك الأيامُ، ستأتيك الأيامُ،
ستأتيك الأيامْ.

أفتتح الآن كلامي، وأقول:
- ليس وهْجكِ، غير اصطباري
صرختُ ... ولم يستجبْ لي أحدْ.
ليس وهجك، غير توهّج هذي المسافات،
حين صرختُ ... ولم يستجبْ لي أحدْ.
كان عرسٌ بقانا – الجليل،
ارتعاشُ النساء اللواتي التحفن السوادْ.
ليس وهجك، غير صهيل خيول العدا
في البلاد.
كان عرس بقانا، وكن يُحنّين كفّي
صرختُ ... ولم يستجب لي أحدْ
كان عرس بقانا الجليل،
توسّلتُ منكِ النصيحة،
لما تمدّدتُ بين الجماهير، واللغة الغامضة
كلُّهمْ أكلوا نجمتي،
ثمَّ لم يشبعوا من لغات الصباح.
ليس بيني وبين سفائن صيدا خلافْ
فنحن جميعاً، جراحُ الجراحْ.
لقد جعلوا البحر، مستودعاً للسلاحْ
يريدون أن يلحقوا، خمر قانا،
بتلك البطاحْ.
ليس بيني وبين سفائن صيدا خلافْ.
في وريدهُمُ جَرَبٌ، وشراييـنهمْ
دبّ فيها الجفاف.
إنما غضبوا، حين صارت لنا خضرةٌ وضفاف.

نزرع الرمل، كي نتظلّل بالماء والخبز واللغة المقبلة.
نزرع الرمل، كي لا تصير لنا الثورة – المقصلة.
فليكن جرحُنا، كالخوازيق، للسادة المقبلين
على فرس من رماد البلاغات والخطب الآسنة.
وليكن واضحاً، إنهم أجبروك على الطاولة
أن تقول الذي لا تريدْ.
لا تكن ليّناً كالثريدْ
وليكن واضحاً أن قلبك ينزف دمعاً
وأنت تُمجّدُ عرشَ يزيدْ.
لا تكن ميتاً، جامداً، هامداً، قابلاً كالقديد
لا تكن خائفاً، مثل أوراقها الذابلاتْ

تلك أسوار مريام، أبوابها السرمدية والشجراتْ.
إنّهمْ قتلوا والدي، وأنا شاردٌ في حنايا اللغات.

- سوف أفتحُ باب التطوّع للنهر
والبحر والسهل والزيزفون.
ثمّ هذا الصنوبر والسرو والكرْمِ، أفتح باب التطوّع،
للنار، حتى يثورَ الحنينْ.
كان عرسٌ بقانا الجليل، وفاطمةُ الآن، تكتبُ لي
أنَّ حُجْر المسجّى على الرمل، لم يدفنوهْ.
كان عرسٌ بقانا الجليل، وفاطمةُ الآن،
تفتح باب التطوّع:
حنّاؤها وخلاخيلها والعطور.
وتُقسم ألاَّ تكون، نؤومَ الضحى
تقسم الآن، أن يفرح الشجر السمهريُّ،
وفاطمة الآن، قصَّتْ جدائلها،
أقسمتْ أن تكونْ.
نجمة للصحاري، وبوصلة التائهينْ
يا رياح الجنوب، استمري:
متى تبدأ العاصفة!!!

أختتم الآن كلامي، وأقول:
- لستُ ممن ينادونكَ الآن، من خلف هذا الفراغْ
هُزّهمْ بيسارِكَ، لن تلق غير الخداع
إنهم ختلوك، يريدون عظمك، حتى النخاع:
مرةً يقع المتخمون من الكأس،
أو من بعوضةِ ماءٍ كريهٍ، وقد يقع الطيبونَ،
إذا هز قُدَّامهمْ ماهرٌ بالعصا
يحسبون العصا، جبلاً ممعناً في الأسى
ينامون، حين يرون الجليل استفاقَ،
وحين يرون الجليل استفاق،
تكونُ جبالُ الخليل، مُدىً وحصى
والنهور التي صوتها، عذّب الغائبينَ
أسىً في الأسى.
هُزّهم، هُزهم، هُزهم.
من مشارف مكَّةَ، حتى المدينة، حتى البقاعْ
هُزّهُمْ بيمينكَ، لن تلق غير الخداعْ
هُزّهُم بيسارِكَ، لن تلق غير الخداعْ
لقد ختلوكَ، يريدون عَظْمكَ، حتى النخاع.
هُزَّهُمْ، هُزّهم، هُزَّهُمْ.

ألا يا هلا يا هلا بحبيبي

ألا يا هلا

يا هلا بحبيبي
حبيبي، حبيبي
وضمّتهُ، ضمتهُ حتى البكاء.
فاستردّ صباه وقبَّلها، شدّها
والحنوُّ استرد صباه البعيدْ:

دزّيتلو مكتوبْ
طوّلْ، وما جاني يُومّا
طوّلْ، وما جاني

- أرى صبيةً مثل زغب القطا
والفوانيسُ مطفأةٌ،
إنكَ الضيفُ، لم نحتفلْ،
كلُّهم أجهشوا بالبكاء، وناحوا
تَحسستُ قنبلتي،
وتخبأتُ في جسدي،
وتضاءلتُ،
إن الفوانيس مطفأةٌ أيها القلبُ،
والغاضبون، استراحوا.

ألا يا هلا يا هلا
وضمّتهُ في اللحظة الحاسمة
كما امرأة نطرتْ حبَّها،
عند مفرق دربٍ ودربٍ،
كما انتظرتْ، زوجة الشاعر الأخضر،
المتولّه، في أنقرة.
سجينَ الزنازين: صارتْ له بيتُهُ،
والسماء مواعيدُهُ،
وصفيرُ الرياح، له قُبّرة.
كما كان طفل بمدريدَ: عيناه كحليتان،
وقيل: رماديتان،
اختلافُ الرؤى، يشحذُ الجوهرة.
لماذا تجيء إليّ
وقلبُكَ أغرقَ في الدمع،
من رؤية المجزرة؟؟؟!!!

ألا يا هلا يا هلا بحبيبي
حبيبي، حبيبي، حبيبي
وضمّتهُ، ضمّتهُ،
لكنه صخرةٌ راكدة.
دزّيتلو مكتوبْ
طوّلْ، وما جاني يُومّا
طوّلْ، وما جاني

وضمّتهُ، ضمّتهُ،
لكنّه جاءها، جثةً هامدة.

صدرسنة (1976)

الديوان السادس

جـــفـــرا أمّي، إنْ غابَتْ أمّي

مَنْ لم يعرْف جفرا ... فليدفن رأسَهْ
من لم يعشق جفرا ... فليشنق نَفْسَهْ
فليشرب كأس السُمِّ الهاري،
يذوي، يهوي ... ويموتْ
جفرا جاءت لزيارة بيروتْ
هل قتلوا جفرا عند الحاجز،
هل صلبوها في التابوت؟؟!!
وأنا لعيونكِ يا جفرا سأغنّي
جفرا أمّي، إنْ غابتْ أمّي.

تتصاعدُ أغنيتي عَبْر سُهوبٍ زرقاءْ
تتشابه أيامُ المنفى، كدتُ أقول:
تتشابه غاباتُ الذبح، هنا، وهناكْ.
تتصاعد أغنيتي: زرقاء وحمراءْ:
- الأخضرُ يولد من دمع الشهداء على الأحياءْ
الواحةُ تولد من نزف الجرحى،
الفجرُ من الصبح
إذا شَهَقَتْ حبّاتُ ندى الصبح المبحوحْ
ترسلني جفرا للموتِ،
ومن أجلك يا جفرا
تتصاعدُ أغنيتي الخضراءْ.

منديلُكِ في جيبي تذكارْ
لم أرفعْ صارية، إلاّ قلتُ: فِدى جفرا
ترتفع القاماتُ من الأضرحةِ، وكدتُ أقولْ:
زَمَنٌ مُرٌّ، جفرا ... كلُّ مناديلكِ قبل الفجر تجيءْ :
في بيروتَ، الموتُ صلاةٌ دائمة ...
القتلُ جريدتُهُمْ،
قهوتُهمْ،

القتلُ شرابُ لياليهمْ
القتلُ إذا جفَّ الكأسُ، مُغنّيهمْ
وإذا ذبحوا ... سَمَّوا باسمك يا بيروتْ.
وأنا لعيونكِ يا جفرا سأُغنّي.

سأعودُ بعُمّال التبغ الجبليّ المنظومْ
هل كانت بيروتُ عروساً،
هل كانت عادلةً ... ليستْ بيروتْ
إنْ هي، إلاّ وجع اللحم المَلْمومْ
حبَّاتُ قلادته، انفرطتْ، في يومٍ مشؤومْ
- إنْ هي إلاّ همهمة الصيّادينَ،
إذا غضب البحرُ عليهمْ
إنْ هي إلاّ جسد إبراهيمَ،
المُتناثر، قربَ الفُرْنِ البلديْ
إنْ هي إلاّ أبناؤك يا جفرا
يتعاطون حنيناً مسحوقاً في زمنٍ ملغومْ
إنْ هي إلاّ أسوارك يا مريامْ
إنْ هي إلاّ عنبُ الشامْ
ما كانت بيروتُ وليستْ،
لكنْ تتوافدُ فيها الأضدادْ
تجري خلفكَ قُطْعانُ الرومْ
وأمامك بحرُ الرومْ.

للأشجار العاشقةِ أغنّي.
للأرصفة الصلبةِ، للحبِّ أغنّي.
للسيّدة الحاملةِ الأسرار، رموزاً في سلّة تينْ
تركض عبر الجسر الممنوع علينا،
تحمل أشواق المنفيينْ
ولجفرا سأغنّي
لرفاقٍ لي في السجن، أغنّي
لرفاقٍ لي في القبر، أغنّي
وضفائرُ جفرا،
قصّوها قرب الحاجز،
كانت حين تزور الماءْ
يعشقها الماءُ ... وتهتزّ زهورُ النرجس حول الأثداءْ
جفرا أمّي، إنْ غابتْ أمّي
جفرا، الوطنُ المَسْبيْ
الزهرةُ، والطلْقةُ، والعاصفةُ الحمراءْ
جفرا – إنْ لم يعرفْ، مَنْ لم يعرفْ
غابةُ بلّوطٍ، ورفيفُ حمامٍ ... وقصائدُ للفقراءْ
جفرا – من لم يعشقِ جفرا
فليدفنْ هذا الرأسَ الأخضرَ في الرَمْضاءْ
أوْ تحت السورْ

أرخيتُ سهامي،
قلتُ: سمائي واسعة والقاتلُ محصورْ
منْ لم يخلع عينَ الغولِ الأصفر ...
تبلعُهُ الصحراءْ.

جفرا عنبُ قلادتها ياقوتْ
جفرا، هل طارت جفرا لزيارة بيروت؟
جفرا ... كانت خلف الشُبَّاك تنوحْ
جفرا ... كانت تنشد أشعاراً ... وتبوحْ
بالسرّ المدفونْ، المغمورْ
في شاطئ عكّا ... البيضاء الدورْ
وأنا لعيونك يا جفرا، سأغنّي
سأغنّي
سأغنّي.
لصليبكِ يا بيروتُ، أغنّي.

- كانتْ ... والآن تعلّقُ فوق الصدر، مناجلَ للزرع
وفوق الثغر، حماماتٍ بريّة.
النهدُ على النهدِ، الزهرةُ تحكي للنحلةِ،
الماعز سمراء،
الوعلُ بلون البحر، عيونكِ فيروزٌ يا جفرا.
وهناك بقايا الرومان: السلسلةُ على شكل صليبٍ من نورْ
هل عرفوا ... شجر قلادتها من خَشَبِ اليُسْر،
وهل عرفوا أسرار حنين النوقْ
حقلٌ من قصبٍ، كان حنيني
للبئر وللدوريّ، إذا غنّي لربيع مشنوقْ
قلبي مدفونٌ، تحت شُجيرة برقوقْ
قلبي في شارع سَرْوٍ مصفوفٍ، فوق عِراقيّةِ أمّي
قلبي في المدرسة الغربيّة
قلبي في المدرسة الشرقيّة
قلبي في النادي، في الطلل الأسمر،
في حرْفِ نداءٍ في السوقْ.
جفرا، أذكرها، تلحق بالباص القرويْ
جفرا، أذكرها طالبةً، في جامعة العشّاقْ.

- مَنْ يشربْ قهوته في الفجر، وينسى جفرا
فلْيدفنْ رأسَهْ
مَنْ يأكلْ كِسْرَتَهُ الساخنة البيضاءْ
مَنْ يلتهم الأصدافَ البحرية في المطعم،
ينهشُها كالذئبْ
من يأوي لِفراش حبيبتهِ، حتى ينسى الجَفْرا
فليشنقْ نَفْسَهْ.
جفرا ظلّت تبكي في الكرمل،

ظلَّتْ تركض في بيروتْ
وأبو الليل الأخضر، من أجلكِ يا جفرا
يقذفُ من قهرٍ طلقته ... ويموتْ.!

جفرا ... لا تؤاخذينا

ليلاً ... آتيكِ كقُبلة
ليلاً ... أغويكِ كنجمة
ليلاً ... تجرحني ذكراكِ الدمويَّة
ليلاً ... أبكيكِ، فيمنعني غضبُ المجروحْ
ليلاً ... في حُلُمي، أسري نحو كرومكِ
ليلاً ... أسري نحو شعابكِ،
يا خضراء الروحْ.
روحي، نحو غزالات القلب، وبوحي بالأسرارْ
قبَّلتُكِ نحو القِبلةِ، قرب رموز حجريَّة
أشعلتُكِ بالغار، ولملمتُ رمادكِ،
ثمّ نثرتكِ في الريحْ.
طرّزتُكِ في الغيم قطيعاً،
يسرحُ في المرج المسموحْ
لا ترتجفي، فالأرضُ تراتيلُ البوح،
إذا انطفأتْ شُعلتكِ الفضيَّة
الأرض صلاةٌ صامتة وسكوتْ.
ثمّ دفنتكِ قُرْبَ صخورٍ ذهبيَّة.
علّمتُكِ بالحجر السريْ
علّمتُكِ بالحبر الصينيْ
ورسمتُكِ قبَّرةً،
فوق ذراع أسيرٍ بدويٍّ مَقروحْ.
ليلاً ... أبكيتُكِ، دون كلامْ
ليلاً ... سامحتُكِ، يا شرياني المقطوعْ
أفرغتُ زجاج مَراراتي، ونَهَرْتُ نبيذَ الجوعْ.
ليلاً ... أتسلّلُ مثل فدائيٍّ مكبوتْ
كالصلِّ الأرقط، أنسابُ على الطرقات الرمليّةِ،
أتركُ آثاري ... وأموتْ.
كي ينفجر الينبوعُ ربيعاً من توتْ.

ليلاً كلّمتُكِ،
ليلاً قرَّبْتُ البحرَ إلى جبل الصوّان، وصالحتُ
الشوكَ مع الجوريّ، وصالحتُ الحرسَ الليليَّ
مع العشب المنتظر برابرةً، يأتون من البحر،
ويأتون من الرمل، ويأتون من النفط، ويأتونْ.
زَحْزحْتُكِ، زحتُكِ، مازحتُكِ، تحت المتراس،
وخاصرتُ النخلةَ في ضوء الصحراءْ
فانبجَسَتْ من قلبي ضحكاتٌ بيضاءْ.

زَغْزَغْتُكِ تحت المطر الصيفيِّ،
انهمرتْ موجاتُ الغيرةِ من عطر الوَرْداتْ.
ثمّ استدرجتُكِ في بستان البحر، قِبالةَ صيدونْ.
وشوشتُ شجيراتٍ، بكلامٍ ليس قبيحاً،
فارتعشتْ شتلاتُ التبغ ... ورفرفتْ النجماتْ.
ثمّ طويتكِ، تحت الإبط، كمخلاةٍ من زادٍ،
نجري، نتراجع كالموجاتْ.
لاحقتُكِ فوق صخور البحر الأبيض،
موجاتٌ تتبعني، زبدٌ في فكِّ الصحراءْ
ناديتُكِ، ثمّ غفطتكِ تحت الدَرْدارةِ،
كان النرجسُ يرقبنا، كعذول بدويْ.
ليلاً أشتاقكِ، أشواكٌ منفايْ،
كيف أصالح منفاي، ومنفاكِ،
مع المدن الخضراء اللائي
نعشقُ، والمدن الخضراء اللائي نعشق، سوداءْ.
ذهبٌ، حَرَسٌ، ومكاتبُ ياقوتْ
ولا تبقين بمنفاكِ، ولا أبقى بشوارع بيروتْ.

المنفى خَشَبٌ ومساميرْ
المنفى يا جفرا قبرٌ مفتوحٌ،
المنفى كلبٌ مسعورْ
ينغلُ في فكّيهِ الدودْ
المنفى توقيفٌ، وحدودْ
المنفى خوفٌ، أو جوعْ
المنفى جذرٌ مخلوعْ.
المنفى يا جفرا .....
لضفائر جفرا ... ليس لجفرا أشواقٌ مسترسلة،
فالإيقاعُ استلبَ شِغافي،
ولهذا أتشعبط ليلاً،
بصهيل قوافلكِ المحشوّةِ بالأشواقْ.
ولهذا أجري خلف كرومك في الأسواقْ.
الإيقاعُ يُولّعُ نار الغيرة في قلبي
أتمزَّعُ أقساماً وفصولاً في الدمع المُهْراق:
واحدةٌ لضفائر جفرا
الأخرى لكرومكِ، ناشفةِ العيدانْ
والثالثةُ، لثورتكِ المخدوعةِ،
من رمل البحر، إلى بحر الرمل التابوتْ.

تسمعك قطاراتُ الليلْ
عُمَّالُ قطارات الليلْ
أجنحةُ حمامِ البحر،
الأمكنةُ المُرّة في مفرق هذا البستانْ
تسمعكِ، قرنفلةٌ بيضاء على قُدّلةِ بنتٍ إغريقيَّة

رقصٌ في ساحات الغابةِ،
بعد نبيذٍ من فرحٍ موعودْ
قيثارةُ أعصابي، تشبه هذا العودْ
تنتظرين رصيفاً مخدوعاً، وقطارُكِ في الفجر
يمرُّ سريعاً، حيث تصيحين: الفجرْ
الفجرُ، الفجر، الفجرْ
الفجرُ، سيأخذ في الفجر، حبيبي
ثمّ َ، تَلُمّينَ الصوتَ إلى الصوتِ،
فلا يسمعُكِ الفجرُ، ولا الضوضاء.

- أيتها المفردةُ المرميّةُ في مدن الآثار الزينةِ،
أيتها الممشوقةُ،
مثل القاماتِ العربيّة في يوم الأرض،
الواقفة على حدّ النارْ
أوَلا يغويكِ صراخي في آخر هذا الليل.
أيتها الموزونةُ كالبحرْ
الممتدةُ كالقهرْ
أيتها الموءودةُ كالحَجَر، الغامضة السحرْ
كالبحر الميّت ليلاً، أو كدوالي الديرْ.
يا جبلاً ما هزّته الريحْ
ستُوقعُ في الصيف الدمويْ
يا جنرال الأموالْ
ستُوقعُ بعد جفاف الموّالْ
وأنا أبقى مستور الحالْ
أتدفأ ليلاً بنصوص الكنعانيْ
جفرا،
أسألكِ بأسماء العنب الحُسنى ... أن تَبْتَسِمي
لبريق الرعد الشتويْ:
يشتدُّ الرقصُ
وأنشد في الجمع المبهور نشيدي الرعويْ
جفرا يا جفرا يا جفرا
هل تأذنُ أوروبا،
بالرقص الأخويْ
هل تأذنُ أوروبا،
أن أفدغَ نهديها بين يَدَيْ
هل أدخل في حُمّى الأضواءْ.

الثلج يَنِثُّ على أشجار الساحاتْ
أرفعكِ على كفّي، يتدفّقُ نهر الألوانْ
ثمّ َ أصيحُ كقطٍ وحشيْ
يا غابة أعصابي ... هُرّي بلّحَ الواحاتْ
هل تأذن أوروبا بالرقص الدمويْ
دالية خضراء على السفح المهجورْ.

الرقصُ حنينُ الأرضِ العطشى للماءْ
الرقصُ ... فناءْ.
الرقصُ حنينُ عظام الأحياءِ،
إلى كلمات الشهداءْ
أيتها المنتظرة خيلاً، وسيوفاً، من هذي البيداءْ
الفجرُ سيأتي من سفحكِ ذاكَ المنحوتْ.
قبَّلتُكِ للقبلةِ في غابة بيروتْ
وكسرتُ التابوتْ.
فاتحدي يا جفرا بالمطر وبالناسْ.
ليتَ، لعلَّ، عسى
تنقلكِ العاصفةُ الغاضبةُ إلى
قُدْس الأقداسْ.

بـــودابـــســـت

بين بودا ... وبستْ
قد رقصتُ (تويستْ)
في أعالي التلالِ المحيطةِ بالقلب ... بارُ الغَجَرْ
بين (بودا) ... و (بسْتْ)
عوسجُ العود، كاد يُلامس غَنْجَ الوتَرْ
لم أقلْ للسماء التي أصبحتْ، مهجعاً للطيورْ
فوق عشب البحيرة: أين الدخانْ؟!!

شاعرٌ مرّ بي، يتأبّطُ قِنّينةَ وفتاةْ
صاح بي ساخراً: كيف حالُ الرصاص البعيدْ

فجأةً، داهمتني ابتسامتُهُ الغامضة
الثعالبُ مرَّتْ على مَهَلٍ من جديدْ
شاعرٌ بلّل الخوفُ سروالَهُ ذات يومْ
كيف، بيروتُ، كيف النساءْ،
قُلْ لهمْ: راتبي لم يصلْ
قال لي، ومضى يتأبّط قِنّينةً وفتاةْ.

بين بودا ... وبستْ
قد رقصتُ تويستْ.
كان ظلّي جريحاً،
توقعتُ أن تعزفي غير هذا النشازَ،
الذي يتعالى، صديقي الذي قاتل الوحشَ في الغور
ينشج دمعاً، ولكنه يتظاهر أنَّ الزمان جميلْ
ثمّ يُردف إنَّ المكان جميلْ
كان ظلّي جريحاً،
وجفرا تلاحقني، رغم أنّي وحيدٌ، وجفرا
تُراود دانوبكمْ،
تشتهي أن ترى بارقاً في الخليل.
بين بودا ... وبستْ
وحشةٌ وفَرَحْ
كرمةٌ عرَّشَتْ، فوق جدران بارْ
قلتُ: حنّونةٌ تحتمي بالبساتين في جبلٍ مُشرفٍ،
حيث بئرُ العصافير في الروح، ثقبٌ عتيقْ.

أين بودا ... وبستْ
أين ثلج الكؤوسْ
الشواءُ، ورائحةُ السور يهربُ مثل الدخانْ
يدعسُ الفاتناتِ ... قطارُ الزمانْ.
أين ذاكَ الذي بلّل الخوفُ سِرْوالَهُ،
ذات يومْ!!

آ... وي... ها

هل أفتحُ دفتر ذكراكْ ...
في هذا الصبح الناعم، والمفعم بالأمطارْ
أنتظر رسائلَها المبثوثة في الأخبار
عنوانك، محفورٌ في طبقٍ من طينْ
أوفيتُ الوعدَ ... وفي صمتكِ أشعلتُ الغارْ.
وعلى مكتبهِ الفضيِّ المنقوشْ
كان الطُّحْلُبُ مَنْفوشاً،
يقرأ عنك الأشعارْ
يتصفّحُ قائمةَ الأسعارْ
الأرضُ الحبلى بالعشب وبالنوّار

تتجلّى في ليلة دَخْلَتِها في نهر الدمْ
العاشق، كالخاتمِ في إصبعها،
والكونُ لعينيكِ مدارْ
الآن تدقّ البابَ امرأةٌ،
تنثر من جَعْبتها الأخبارْ
وأنا لو غازلكِ النجم الثرثارُ، أغارْ.
دقت بابي في يوم غائمْ
لكنْ لا يعنيها الأمر ... فترمي طَرْحَتَها ... وتروحْ
أضربُ بالقبضةِ ... شُبَّاكَ الريحْ
المطر شديدٌ جدّاً في هذا الصبح الناعمْ
لكن ما إنْ تكتمل الصفحةُ،
حتى ألقاكَ شهيداً ... وابنَ شَهيدْ.
الغيم القاتم، يملأ دربي المسدودْ
الثلج الأسود في الطرقات الصيفيَّة
الحُزنُ على وجهي الساهمْ.
شجر البلّوط المتجذّر، قرب المدرسة الحزبيَّة.
عاصفةُ الصيفِ اندلعتْ، قرب بحيرةِ موسكو.
هل تذكر ميخائيل الضاحكَ في البار؟؟
حين يقهقهُ مُنْتشياً: موسكووو ...
كنّا نحلمُ أن تأتي بيروت المجروحة في الأحلامْ
تعبتْ قدماي من الرقص المبحوحْ
سألتني سيّدتي،
إن كنتُ أخاصرها قبل النوم وبعد النومْ.
سألتني، إن كنتُ سليلَ وحوش الغابة
سألتني إن كانت أشعاري، تُشبهُ رقصي، وصفيري
سألَتْني عن سَبَبِ ظُهوري
فكذبتُ عليها،
مَسّدتُ الجسدَ الرائعَ فوق سريري.
وفتحتُ البابَ الأخرسَ، بالفأسْ
فانطلقتْ منهُ عصافيرُ سُروري
ثمَّ تركتُ (المُتَنبيّ)، يلعقُ قاعَ الكأسْ.

- كانت موسكو، تبكي مطراً أخضر كالبلّورْ
شاهدتُ خيولاً، فوق السفح الأصفر بين الأشجارْ
زغردتِ الفَرسُ البيضاء:
آ ... وي ... ها
يا مُدُنا لا تعرفني،
إلاّ مقتولاً أو مطروداً في أرض الله
آ ... وي ... ها
يا زنبقةً باضتْ في صحن الدارْ
آ ... وي ... ها
يا تينة وادينا، يا شوكة صَبَّارْ
آ ... وي ... ها

يا رمزاً منقوشاً في الصدر المقهورْ.

نهرٌ من تعبٍ شاهدَ جيش الطاغوتْ
الليطانيُّ اجتزناهُ، ارتفعتْ أصواتٌ حُرَّةْ
فانقشع الغيمُ، ابتسم إبراهيمُ عريسُ الرحلةِ ...
أولَ مَرَّة.
ثمّ أطلَّ البرجُ الشامخُ في سهل النارْ
هل تذكر يا عمر المختار؟!!
هل تذكر يا عمر المختار؟!!

العينُ السحرية ظلّتْ تنتظركَ،
ظلّتْ منصوبة
الموتُ رطوبَة
موتكَ يا عُمَرُ، بداية عصر الأنوار.

كيف رقصت (أمُّ علي الخصراوية)

(سيناريو المشهد)

غالباً، ما يشدُّهُمُ الوجدُ، حين تكونين، صوتَ الرنين
العميق العتيق، الذي في الزمان السفيهْ
رَجْعُ صوتكِ، مثل الأغاني العتيقة، مثل نبيذ التلالْ
غالباً ما تكونين، مثل المطارد عند أعالي الجبالْ
يجيئون قبل الرحيل، ولكنّهمْ يفرحون قليلاً،
قليلاً، قليلاً ... ويشتدُّ رقصكِ،
لا تفتحي الجرحَ، أو تُغلقيهْ.
ثمّ َ يشتدُّ رقصكِ، يبكون، لكنَّهمْ في المساءِ،
ينادون: هيه ... يامْ علي
ليش مَتْغَنّينا؟!!!
عندما ننحني، سوف تبكيننا في النصوصْ
آه، يشتدّ رقصكِ، دون الإجابة، ينغلُ قلبكِ
بين مروج الكلامْ.
عندما ينحني جذعنا مثل داليةٍ في الخليل
سوف تبكيننا بالكلام الجليلْ
ثمَّ ناديتُ: هيه يَمْ علي
ليش ما تْغنّينا؟!!
كنعانْ العريسْ، حَنَّوهْ بالدِما
ليش يَمْ علي، ما تحنّينا؟!!!
ثمَّ ، يشتدُّ رقصك – إنَّ حذاءكِ مهترئٌ،
والعظامْ
طقْطقتْ في مسارب هذا الرحيلْ.
- أيُّها الراقصونْ
كيف أتركُ زغبَ القطا في ليالي الهمومْ:

- أوّلُ القول: قلبي وحيدْ
أوّلُ النجم، ترنيمةُ الراهبة
أوّلُ النهر، تعويذةُ الطبل قبل الرعودْ
أوّل الشرق، سهمٌ من الضوء في الساحة العابسة
أوّلُ الأغنياتِ، ترانيمُ قلبي الشهيدْ.
- لي حبيبٌ وحيدٌ، هو الآن يُصغي لدقّات قلبي، ألا
فاتركوني، هو الآن يركبُ مهرتَهُ:
سرجُها ذهبٌ، وحوافرها فضّة، تقرع الآن ليل الجليل،
حبيبي مُسَجًّى أمامي.
صوتُهُ فضّة،
وله طلعة، مثل بدر التمام.
ربّما يتستر بالصخر، ... يحميه، أو ربّما سَعْفُ مَريامَ،
أو ربّما ضاع في عتمة الروح،
في شاردات الكلام.
حبيبي مُسجًّى أمامي
قال لي: أوّلُ الأبجديّة، كان كلامي
قال لي: آخر الأبجدية، هذا كلامي.

1. رقصة الدير:
أنجبنا أشجاراً باسقةً، ثمّ َ ذهبنا للمرج، نقيمُ علاقاتٍ واسعةً، في أبريل الماضي، حيثُ الأرضُ تُهلّلُ بشْراً، والعلّيقُ تشدَّدَ، إلاّ أنْ نبقى كضيوفٍ، والزعرورُ اصفرَّ، وقال الحكمةَ من عندي، واللوز البرّي اصطفَّ على الجنبين، كما يصطفّ الحرّاثونْ. للزرع الأصفر ينشد جيشُ الحصّادينْ. كُنّا نذهبُ للنبع، وكنتُ عروسَ النبع، وأحلى من – أمّ عليّ – هذي المدفونة في الحزن، وكنتُ أغنّي للعمّال المطرودينْ. كنتُ أغنّي في مرج النور: ترابَ العشق المرويّ بدمع غامضْ:

- ما أحلى شجر التينْ
يتشابكُ بالبُطْم، وبالشَرْبينْ
يتعاشقُ في عِلّيينْ
- هيهِ هيهِ هيهْ ... هيهِ هيهِ هيهْ
- جَمْلو جَمْلو، عند البيرْ
تتصيّدُ ... رفَّ عصافيرْ
تحمل في يدها سكّينْ
- هيهِ هيهِ هيهْ... هيهِ هيهِ هيهْ
- طاف حواليها الولد الولهانْ
مَيَّلَ منديلَ الألوانْ:

اللون الأوّل من عجلونْ
اللون الثاني من حورانْ
اللون الثالث من حيفا
اللون الرابع من جرحي.
- ها ها ها ها ... ها ها ها ها

- قال لها أن تذهب معه لحقول الزوّانْ
- قالت: في الدير مرابعنا، والمنفى من حَجَر الصوَّانْ
- هيهِ هيهِ هيهِ هيهْ.
- وأنا أعشق زوّانَ بلادي، أكرهُ قمحَ المنفى.
- ظلّت جملو عند البيرْ
تتصيّد رفّ عصافيرْ
تحمل في يدها سكّينْ.
- هيه
- البحرُ طويلاً – ينسانا
المركبُ غادرنا، الآنا
هل نبقى في منفانا؟؟
سيّدةَ القلب المغلولْ.
- هل بقيتْ نُقطٌ بيضاءْ
بَوْلُ عصافيركِ يا أشجاري الخضراءْ؟
الغول الأسود أشعل غاباتي
النجمُ الساطعُ، صادرَ غلاّتي
- خلعوا أشجار الديرْ
- ها
- نثروا السُمَّ على الأنهار
خافوا أن يُشرقَ شجر الليمونْ.

الكاميرا تتقدم نحو الرأس المرميِّ،
على أغمار القمح المنثورْ
اللقطة كانت متوسطةً ...
لكنّ جلال الموت، يفيضُ على الجثث – الآنْ
ولهذا نستخدم تقنية، تقطيع التقطيعْ
حين نعود إلى الأرشيف الدمويْ
نمزج أشلاء قرنفلةٍ في قلب الصورةْ.
البحر الأبيض أحمر، البحر الأحمر، أزرق أو أسودْ
لا فرْقَ ...
إذا كان المُخرجُ، حسّاساً، ومُحبًّا للألوانْ
وسماء السهل رماديَّة
الأخضرُ لونُ الخصبِ، ولونُ الساحلْ
الأسودُ لونُ الجُندِ، ولونُ حِرابهُمُ المرميَّة
الأحمر – طبعاً في هذي الحالة – لونٌ فتَّانْ
يرشُقُهُ العاشقُ، والقاتلْ
الأحمر والأصفر، يمتزجانْ
رَجُلٌ وامرأةٌ تحت المطر الناريْ
في غابة مرجانْ
عاشقها، فانتفضتْ، وارتعشتْ كالموجة
ضحكتْ أثداءُ الرُمَّانْ
قطْعٌ ممزوجٌ بصهيل القتَلَة
حول حقول القمح المشتعلة

صورةُ أسلاكٍ شائكةٍ، كان الكنعانيّونْ
في أطراف الصحراء العربيّة
أمّا أبناء عمومتنا في واق الواقْ
فاترُكْ للمُخرج، أسرارَ الأوراقْ
حتى ينثرها في الريحْ.

2. رقصة جفرا:
للحقل المترامي الأطرافْ
هُرعوا يصطفون – قطافُ سنابل قريتنا، حانْ
نحن الأرضُ، ونحن الماء الْ يروي،
هذا الوادي المترامي الأطرافْ
عيني اليُسرى رفَّتْ ... إنّي من هذا اليوم أخافْ
عاصفة الضوءِ الكشّافْ
إنّي من هذا اليوم أخافْ.
قالوا: ذاك زمان الذبح، فلا تكترثي
عصفورٌ بين أصابعنا المشقوقة
يُطعمُ أطفالَ القريَةِ ... لا تهتمّي
يا جفرا النبع، ويا جفرا القمح،
ويا جفرا الطيّون، ويا جفرا
الزيتون، السَرّيس، الصفصافْ
قالتْ: إنّي من هذا اليوم أخافْ
- البحر جميلٌ يا جفرا
حزنكِ، لهبٌ شفّافْ
قالتْ: إنّي من هذا اليوم أخافْ
الأسودُ حول حقولكِ طافَ وطافَ وطافْ
الأزرق غيطانكِ ...
صمتُ البحر رموزٌ، والقتل قطافٌ،
وقطافُ الليمون قِطافْ.
قالت جفرا: إنّي من هذا اليوم أخافْ.

- أغترفُ وجوهَ الشهداءِ
أقول: وشاحُ حبيبي أحمر.
- آهٍ آهْ، آهٍ آهْ.
- وحبيبي يحمل في خُرج مهيرتهِ، خنجرْ
فرَسُكِ بيضاءُ حبيبي،
كنتَ جميلاً، تتمختر في بستان الليمونْ
قالت جفرا: القلب يرفُّ، العين ترفُّ، الموت أراهْ
النبع أراهُ، شديدَ الحُمْرة
قال الشيخ الطاعنُ: هذا جسدي، فخُذوهْ
- آهٍ آهْ، آهٍ آهْ.

3. رقصة المذبحة:
رقصة العشب، تزهرُ بعضُ الفصول،

وتبقين نخلة بعض العَربْ.
تستردين ما فات في لحظةٍ – والذي جرَّب الذبحَ،
ليس كمثل الذي سيذيع بلاغاً عن الذبح
ليس الذي جرّب النزف قدّام صورتها العاتبة
كمنْ يشتكي للصخور ... بدون سببْ.
رقصة العشب، يذوي، ولم يكن البحر طفلاً،
أراه عجوزاً، يداعب أطفاله، قرب كرم العنب.

- آهْ، آهْ، ويلي، آهْ
- ومُخيّمنا من رملٍ رخو، من قشّ، من طينْ
هجم شتاءٌ، فانكسر الزينكو الملعونْ
كانتْ (سلمى) تدرسُ في كيمبردجْ.
- ولدوا في المرج الأخضر،
أو أخذوا زرقة بحرٍ
زرعوها في العينين،
امتدّوا في الكون يقيمونْ
مدناً خضراء، لشعب المهزومينْ.
- آه، ويلي، آه
- يبنون المدن نهاراً ... فإذا جنَّ الليل، يجنّونْ.
النهرُ سيحلم أنَّ جراداً، ينتشر على الأرض السمراءْ
الغيماتُ الداكنة الواقفة على جبلٍ مطعونْ
تُهرع خائفة نحو الأبيضْ.
- آه، ويلي آه
ألحق أحبابي ... حيث يكونونْ
ألحق أحبابي، حيث يكونون.

- لي حبيبٌ وحيدٌ، ألا فاتركوني له، عرسُهُ
اليومَ، يركبُ مهرتَهُ، حاملاً في يديه صليبَهْ
لونها، مثل لون المغيبْ
سرجُها ذهبٌ، وحوافرُها فضّة في المتونْ
حبيبي، سيُدفنُ بعد قليلٍ، بأرضٍ غريبة.
حاملاً في يديه صليبه.

4. رقصة الحُرقة:

ينحدر القمرُ الشاحبُ في الوعر، الليلة تمنحنا الأشجارُ إشاراتٍ زرقاءْ. انطلقتْ بعضُ رصاصاتٍ بددت الرهبة في صمت الليل الموحش، يبكي عصفورٌ مجروحُ الساقْ. الجمرةُ تحرق غابتَهُ، فاسترسل، ينشد أشعاراً دامية العينين، بكى سِرْبَ الأحبابْ. اختلط الأحمرُ والأسودُ، فارتجَّ الليلُ جريحاً في اللونينْ. فرَسُ معسكرنا تصهلُ. فضَحَتْنا هذي المجنونة. كنا نربطها ليلاً، نُطعمها ما أعطتنا الحربْ. بعضُ قذائفنا تمنحنا الثقة ... ولكنّ الحارقَ، قد أصبح بين الفكّينْ. يُفترضُ وصول الفتيان الخُضر، الثالثة صباحاً. الصمتُ الأبيضُ سوف يخيِّمُ في الوديان، وفي سفح الجبل، أرى أقماراً شاحبة، وإشاراتٍ صفراء.

- لي حبيبٌ وحيدٌ، هو الآن يُصغي لدقات قلبي،

ألا فاتركوني، لنزف الدما كالمطرْ.
راكباً فرساً: سرجُها ذَهَبٌ، وحوافرها فضَّة من جبال الحديدْ
- يقطعُ المرجَ، قبل انشقاق الصباحْ
ليُنشدَ: لا بُدَّ من أرض جفرا، وإنْ طال هذا السَفَرْ.
ولا بُدَّ من أرض جفرا، وإنْ طال هذا السَفَرْ.

5. إعادة تمثيل:
1. الجثّةُ في وسط الحلبة
طابورٌ من شجر الخابور.
دمهُ مسكُ الأرض، وعيناهُ تُشيران إلى شرر الصوّانْ.
قال الراوي، وهو يدير الوجه إلى الشرقْ.
حشدٌ من شجر الرُمّانْ.
أجنحةُ حمامٍ بحريٍّ في خيمته الزرقاءْ.
2. الكاميرا تتقدّم في هيئة عصفورْ.
الأحمر والأخضر مَزْهُوّانْ.
الرعشة تسري في أجساد المحتشدينْ.
الطوفان، يهيجُ،
الطوفانُ يقيم العرسَ على مقبرة الشهداءْ.

3. اللقطةُ تخترق رخاماتٍ وزهورْ.
الكاميرا تستعرضُ أرجاءَ القبرْ
انتثرتْ باقاتُ الوردِ ... وهاهتْ – أم عليْ:
- آ ... وي ... ها – يا قمَرَ الأحراشْ
- آ ... وي ... ها – حمّلتُكَ رشّاشْ
- آ ... وي ... ها – خَلُصَ الدَوا ... والشاشْ
- آ ... وي ... ها – مهرتُهُ تمشي في الطينْ
- آ ... وي ... ها – حنَّ لبحرٍ مطعونْ.
مَعَكُمْ معكم معكم معكُمْ
حتى نلمس عشب المرجْ
معكم معكم معكم معكُمْ.
يا أحبابي، حيث تكونونْ.

لا تدفنوني هنا

عند باب السماء الرماديّ، لاقيتُهُ ساهماً
كالخريف الحزين الصموتِ الكئيبْ
رغم هذي الرياح التي وشوشتْ سَرْوةً نادرةْ
رغم أنَّ الصنوبر، قصَّ جدائله، غازلَ السروة النادرة
رغم أنَّ الثعابين، طقَّت من الغيظ في القيظِ،
حيثُ زعيق النوارس قرب المحيطْ
يفضح السرَّ، لكنَّه لا يُجيبْ.
عند باب السماء الرماديّ،
شِفْتُ خيولَ السماء السريعة في الناصرةْ
ثم ناديتُ يا وردةً في حنايا الصدورْ
كيف، لا أستطيع كتابة أسمائها العربيّةِ بين السطورْ
أستطيعُ الغناء لها في المصاعبِ،
ثمَّ أنادي، وأصرخ فيها، ومنها، لها ...
ثمَّ تمنح غيري،
إذا شئتُمُ، فاسألوا القاهرةْ
ثمَّ أصرخ فيها، ولا من مُجيبْ.
غرّبوا، شمَّلوا، شرَّقوا، وظعائنهمْ أصبحتْ
نجمةً في المنافي ... وخادمةً للغريبْ.
عند هذا المساء الرماديّ، لا تدفنيني
أراهنُ أنَّ الشوارع، عرجاء، أنَّ
ابتسامتهمْ، كالنُّدوبْ
لقد كبّلوكِ ... كما كبّلوني
العواصم نائمةٌ، أرهقتْها الحروبْ
عند باب السماء الرماديّ، لا تدفنيني هنا
تحت رحمة هذا الصليبْ.

* * *

- عند باب السماء الرماديّ، لاقيتُهُ ساهماً،
أطرق الرأس، حتى الأبدْ
خالداً، كتراب الخليلْ

شامخاً، كجبال صَفَدْ
ناعماً كالنبيذ العتيق،
إذا ما سَرى في الجَسَدْ.
سوف أغوي الرُواةَ الثقاةَ الذينْ
يقرأونَ المُتونْ
سوف أغوي النساء الجميلاتِ، قبل الكؤوسْ
يُطرّزن هذا الفضاء الذي في الرؤوسْ
ويرسُمنَ خارطةَ الأقحوانْ
لكي ترتوي عَسْقَلانْ.

الطالع من وادي التفّاح الأشقر

- مَنْ هذا الطالعُ من وادي التفّاح الأشقرْ؟؟!!
مَنْ هذا المغرورُ على سفح التلّ المذبوحْ
من هذا الطالعُ من شجر الغابة كالخنجرْ
مَنْ هذا الراكضُ، مثلَ غزالٍ مرسومٍ،
فوق بساط الريحْ
من هذا العاشقُ في دار الحُرْقة
يصرخ في البريّة – لا يسمعك الحجر الناريُّ،
ولا الوعل البحريُّ، ولا أغصانُ الغارْ
لا يسمعكَ الثعلبُ، والواوي، والحَجَلُ الثرثارْ
هل تتشظّى نجماتُ الأفق الأزرقْ
لتدُلّ حبيبي للدرب الآمن، في عتمات الليلْ
مدنُ المنفى، خائنةٌ،
هل تعرف يا هذا، أنَّ السيف يخونْ!!!
الطلْقة، إنْ لم نرسُمْها في الأفق الغربيِّ ...
تخونْ.!!!

أحدُ الشعراءْ
دخل سجون الأعداءْ
حين تخرَّج، قرّر أن يَلْحقَ نفسَهْ

صار دليلاً لسماسرة الأرضْ
صار يُتاجر بالطول و... (بالعرض).

جفرا... كثّريني لأثام

حلّفتُكِ بالشهداء المَغْمورينَ المزروعين،
على أطراف الصحراءْ
حلّفتكِ بالدمع المُهراق على أوراق الحورْ
حلّفتكِ بالشجر الباقي، بعد حرائق هذا العامْ
أين الشجرُ الباقي، بعد حرائق صورْ
أين ربيعُ الشامْ
وأقول: أراها
تركتْ في القلب، نُدوباً، وارتحلتْ
قال صديقي: لا تحزنْ
حتماً،
ستحبُّكَ، أشجارُ الأرزْ الأبديَّة
حتماً،
سيحبّك، هذا الجبلُ العاشقُ، والريح الغربيَّة
حتماً،
سوف تحبّك، حبّاتُ الليمون الحامض
في ساحات الدورْ
حتماً، سوف تُناغيكَ، نساءٌ من نورْ
يغزلنَ الصوفَ على حجرٍ، قُدّام البحر الميّتْ
ينظرن إلى الأفق النبويّ المقهورْ.
ثُمَّ رأيتُ نساء القرميد المرسوماتِ
نقوشاً في السورْ
يبنينَ شطوطاً من موز الدامورْ
السجعُ يلاحقني، يغويني في القافية الفِطريّة.
فاغفر لي ذنبي يا هذا،
أحياناً أمشي في الرقص الوحشيْ
أحياناً أحترقُ كعصفورٍ في القش المحروقْ
أين بنادقكِ السمراء
إذا هجم برابرةُ البحر من الجهة اليُسرى.
الأصفر، حبَّات الزعرورْ
الأسود، زمنُ الأعداءْ
الأبيضُ، قلبي المدفونُ على مدخل قريتنا الخضراءْ
الأزرقُ، لا يُؤنسُ قلباً من صوّان الصخرْ
لم أذرفْ دمعاً، أكذبُ، لو قلتُ: ذرفتُ الدمعْ
دمعي لا يتساقط، إلاّ حين أكون وحيداً في الحقلْ
حتماً، ستحبك،
أنهارٌ تجري منذ الصرخة في البريَّة.
حتماً ستحبّك عاشقةٌ في النومْ
تحت وسادتها، نصٌّ مفتوحٌ، كفضاء جديلتها

هذي شجرة سَرْوٍ، لم نزرعْها، يا جفرا
يا جفرا، لا تفترشي الرمل الأصفرَ،
لا تعترفي بالديجورْ
لا تنسيْ مفتاح الدارْ،
المقهور من الغربة
ما زلنا مقهورين، فهل
نقهرُ هذا المقهورْ !!
وطني ليس الدامور.

تهدّلَ شَعْرُكِ فوق الجبين، ارتميتِ
تبوسين دالية في سماء الخليلْ
أقول لجفرا، حلمتُ بأنّكِ قافلة من سرابْ
ستكتشفين، بأن القبور تثورْ
وأنَّ السماء التي لا تراها القبورْ
ستبقى تراهمْ على قمّة الروح – خلْفَ السطورْ.
- لم تكن صوفيا ... صوفيا، لم تكن عاصمة
كان ثلجٌ، وبعضُ الجبالِ المحيطةِ بالروح،
ثمّ َ أتوا بالدواء لها ... حينذاكْ
صار رمشي سياجاً ... وصارتْ مدينة.!!!
رغم أنَّ الحواجز في الليل، قد جرّدتها من الصمتِ
في شارع عابرٍ، حين تاهت كطير جريحْ
رغم هذا، أراها تكسدرُ في ساحة الجامعة
حين يهجمُ هذا المساء الرماديُّ،
أكسر كأسي بدمعي، على الجُلْجُلَة.
ولو أنها تقطعُ الرملَ بالسيف، تغترفُ
الانتظار ... وتنتظر المهزلة.
لثوبكِ هذا المطرّز، أركعُ، قلتُ: دوالي الخليلْ
على صدرها، آيةٌ في الصدورْ.
وطالبةٌ كنتِ في الجامعة
تقرأين الدروس على الورد، كي تسمع النجمة الوادعة
تذبحين جيوشاً ... بفتنتك الشاسعة
تقتلين البريء، وتغوين قاضي القُضاة
تتوهين بين الصخور الملوّنة الخاشعة
يا فراشة أحراشها، والرذاذ الذي في العيونْ
سأركض خلفكِ،
لا تتركي موجة الأبيض المتوسطِ،
تهربُ في جَبَلٍ من ثُمورْ
يومها، قلت للنجم، حين تعالى: تعالْ
والتقفتُكِ، مثل البلابل في قفص القلب بين التلالْ
وَشوشيني،
فقالتْ أقاويلَ شعريَّةً رائعة
وطالبةً كنتِ في الجامعة ...
* * *

- أجَنُّ، لأنَّ الشجر الواقفَ في مطلع صيدا ...
لن يذكرني
وكذلك غاباتكِ عجلونُ ... ستنساني
شجرةُ دُرَّاق في مدخل قريتنا، تبقى
وكذلك أعرف مقهى شعبيّاً في باب دمشقَ
سينساني
مقهى الفيشاوي، أخذوني لمحاكمهمْ، وهو يراني
جفرا شاهدةٌ، جفرا تعشقني،
دون شروطٍ مسبقةٍ،
يا هذا النهر الفتّانْ
جفرا ... صمتٌ من ذهبٍ رنّانْ
جفرا ... فاكهة في الصدر، صهيلٌ في الثغر،
وأجراسُ سلامْ
لكنْ، يا جفرا ... هَربوا،
حين وقعتُ، كنجمٍ مهزومْ
باعوني خُطباً ... وكلامْ
هاتِ المنديلَ، وغطّيني ... لأنامْ.

الحرب والسلام

لوحة الحرب والسلام ل(بيكاسو)

تبدأ الحربُ أو تنتهي، أو تقوم الحجارةُ،
أو تتهيّأ للدمع، مقبرةُ الشهداءْ
كلُّ ذلك، ليس سوى صرخة الفقراءْ.
كل ذلك، ليس سوى موت أحفادهمْ،
ورحيل الأحبّة، والركض،
خلف لجان الصمود الكئيبة، والدَعّ للهاوية.
هكذا تبدأ الحربُ أو تنتهي.
غالباً ما نجيءُ، كما الطير، عند اقتسام الندامةِ،
حين ينادون في الفجر ... يا وحدنا، يُهرع الغرباءْ.
وعند اقتسام الزعامة،

صار الذين اخْتبوا ... زُعَماءْ.
تبدأ الحرب، أو تنتهي
ستظلين أمي التي أرضعتني، حليبَ الشقاء.
ونبقى نُطخطخُ، من أجل عينيكِ، ... نبقى هنا فقراء.!!!

في مدينة، تدعى سنتياجو

سنتياجو، سنتياجو، سنتياجو
طاقيّاتُ رمادٍ من فضَّة
قرْعُ طبولٍ، وطناجرُ في الساحاتْ
إضراباتْ.
سنتياجو
عصيانٌ مدنيٌ في أوردةِ الأشجارْ
النهرُ توقفَ عن جريان الماءْ
الماء انجمدتْ ضحكته الخضراءْ
الضحكةُ صارت أغنية سوداءْ
الأغنية السوداءُ، انحدرتْ في قاع القلبْ
القلبُ يضخُّ فراشاتٍ في حقل الشوكْ
الشوكُ يحاصرني، كسياج من أسلحة الصمت الدمويْ
الصمتُ الأبيضُ مندفعٌ، كالريبة، كالخنجرْ
الريبةُ تستحضر مسحوقَ السُمِّ الناقع في الأشعارْ
في بلدٍ تدعى تشيلي.

كان يغنّي،
وهو يُهزهز بِنْصِرَهُ فوق الوتر السابع،
تَرتجُّ القاعة
الدمع يُرغرغُ في عينيهْ
الفرحُ – الوجعُ، نقيضان، اجتمعا، منذ الأزل،
على باب الدارْ

كم أتعبتَ يديكَ، وأنت تقدّمُ للفقراء، الأزهارْ
ما اسمك يا ذا القبّعة الفضيّة؟!
- ماذا يقلقك الليلة في هذي الأسمارْ؟؟
- يقلقني، أنّي سأغادركمْ،
وأحسُّ ضجيج شراييني
أسمع حشرجة الشحرور على شجر التين
أجراسُ رحيلي قرعوها،
وهديرُ العمّال ... يُعزّيني.
سنتياجو،
فليخرسْ هذا الهاجس ... لا تهربْ للذكرى.
إنَّ كروم التشيلي،
تخضرُّ لأجلك سنةً كاملةً،
تركضُ أفراس البحر،
وتحتجُّ على موتكَ سنةً أخرى.

- جفرا بالشَعْرِ المسترسلِ، والمنثور على الكتفينْ
صعدتْ، فوق الحَلَبةْ
سألتْ ... هل كانت لهُمُ الغَلَبَةْ؟؟
قالوا: لم يحدث هذا ... يا ويلاهْ
قالت: هل ماتوا مُنْتَصبينَ ...
وهبّتْ مُنتصبَةْ:
يا عيسى المطعون على الخَشَبَةْ
الدربُ إلى مريام، نخيلُ الأشواكْ.
سأغنّي للطاقيّات السريّة في الساحاتْ:

- أوَّلُ القول، يا سنتياجو، اشتياقْ
آخر القول، هذا زمان الفراقْ
أوّلُ القول، صلّوا، صلاةَ النبي
آخر القول: شَعْرُ أماندا طويلٌ طويلْ
أول القول: قبر أماندا على التلّة العالية
الرماحُ على القبر، رمزُ انتظار الذي سيقول
أوّل القول: ماذا يقول؟؟!!
- يقول الذي لا يُقالْ:

سنتياجو، سنتياجو، سنتياجو:
قرْعُ طبولٍ، وطناجرُ في الساحاتْ
إضراباتْ
الأشجارُ تُغنّي
العُمّالُ المطرودونَ يُغنّونْ
الشهداءُ المجهولونْ
والغابات.

حنينٌ يفلقُ البحر

باعني واشتراني،
وكنتُ له طيِّعاً، كخرير النبيذ الذي
يتواصل، كالعمر، كالسِلْسِلَة.
غير أنّي توضأت بالدمع،
حين صحوتْ، وودعتُ صلبان عمري،
أنين القرى الجاثمات، المُطِلاّتِ فوق المياهِ،
ولم يكن البحر ميْتاً، كما كتبوا في سجلاّتهمْ
لم يكن بحرنا مهزلة.
كنت أغويتُ كرْماً على السفح،
حين التقطتُ خيوط النُبوّةِ،
قرب صخور اليقين، وتحت مغاور وادي الحنين،
وبيروتُ كانت شبابيكَ عرسي،
وما كان قلبي، يرى المقصلة.
تسلّقتُ زهرتك الذابلة.
الحنينُ الذي يفلقُ البحر، أم مطر الأسئلة.
طال عودي، لأنَّ سُدودي، لأنَّ المطاراتِ، تمنحني
قُوّة الطيران إلى الجُلْجُلَة.
وياما رحلتُ وحيداً، بليل القطاراتِ، ياما نفيتُ
وياما وياما ... هنا الرمل يعسف، قولي:
متى تحدث الزلزلة.

اسمعي يَتُها الثورة الواعدة
اسمعي يَتُها الثورة الجاحدةْ
إنني أستغيثُ، لكي تسمعي.
- هل تغنْي الثعالبُ غيرَ الوباءْ
اسمعي، اسمعي، اسمعي
عندما يتقدَّمُ جيش الغُبارْ
لا أريدك أن تُخدعي
بل هنا ... أشعلي نارك الموقدَةْ
أشعلي الأفئدة.

وصيَّـــة

خُذْ رأسي للحلاّقْ
وأعدهُ ... صباحاً، أوْ ظُهراً،
فأنا أشتاقْ.
خُذْ قدمي اليُسرى
لطبيبٍ أخضرْ
أزلِ الوَرَمَ عن الساقْ.
خُذْ سَفَري في مُدُن التِرياقْ:
مِنْ مصر المحروسةِ،
حتى بيروت الصافية الأعماقْ.
مِنْ عمّونَ – الحبِّ الأخويِّ،
مدى الدهرْ
حتى موسكو ... مایاكوفسكي،
والڤودكا ... تحت الصفرْ.
مِنْ قلب اليونان، البيضاء الدورْ
حتى كريستال براغ – البلّورْ
من بَطِّ النهر، إلى بيرتها السوداء.
خُذْ، هذا الرقصَ السلافيَّ الأحمرْ
في مطعم زاغْربْ.
القالسَ الغجريَّ، على قمّة بودا – بسْتْ
خَلْخِلْ أنحائي، بنبيذٍ رقْراقْ.
خُذْ كأس الراكيّا في صوفيا الثلجْ،
واشربْ قُرْبَ بحيرتها،
حتى ينفلق الديكُ الأفاقْ.
مطرٌ غازلَ بُنْدقةً،
غيَّرَ ألوانَ الأوراقْ.
خُذْ قهوتكَ السمراءْ
في مقهى جوته البُنيْ
كلِّمْ خشبَ مقاعدِهِ،
في الديوان الشرقيْ.

كَسْدِرْ يا هذا،
من جسر ساريفو، حتى جامعة العُشّاقْ.
خُذْ رأسي للحلاّقْ
لا تتركني أبداً،
أبداً، أبداً، أبداً،
في منفى الطينْ
لا تتركْني، في هذي الصحراءْ
خُذْ جَسَدي لفلسطينْ.
خُذْ جسدي لفلسطينْ
خُذْ جسدي لفلسطين.

صدرت في (1981)

الديوان السابع

عيد الشعير

غدٌ لا يجيءُ،
وماضٍ موغلٌ في الغيابِ،
أيها الحاضرُ المقيتُ.

أحمل مقلاعي، ألتقطُ الحصى من مساقط التلاعْ
أرشقُ العصافير في أعالي الخليل،
يتمالكُ العصفور أعصابه،
يمسكُ بالغصن المتعالي، لكنه ينحدر
يسَّاقطُ كالنَفَلَة على الصخرة المعشوشبة.
ألتقطُه ككلب السَلَق،
أطويه في جرابي كالبدوي،
أجمعُ الغَمَلَّشَ، والبلاّن الجاف، والقماقيشْ
أتسلّقُ حَماطةً، تيئُها دافورٌ أخضر
مثل صبيّةٍ لم تنضج. عَذْبةٌ كالمشمشْ
أشوي عصافيري التي اصطادها جندبٌ،
كِرْزمُ الفخّ أطبق عليها.
يرتفع الدخان المارد،
يترك آثاره على الأطلال.

الكنعانيون يحتفلون بعيد الشعير في الأباطحْ
لزجون: عَرقٌ، حصى البحر الميّت، وجنازاتُ أحبابي.
يتلذذون بالأهازيج، والسيوف البرونزية
وأنا أنقشُ فوق الصفاة، أسماء قتلاي
عَرَقي يَزْرُبُ، وأنا أنقش أسماء قتلاي.
أحذرك أيها الشيخ الوقور
لا تقترب من صخوري وعصافيري وأشجاري

وحصاي الذي عند مساقط المياه في التلاع.
كان يقهقه، يكاد ينفجر، يتطلع إلى البحر
يعود إلى كهوفه
وأنا أنْفِدُ بريشي، أعودُ إلى غوايتي.
أيها الكِلْسُ،
أيتها الطباشير يا ابنة الكلْس،
ارسمي دوائر عمري بالأبيض على ألواح وصاياك
تابعي إثمي بجدية هذه المرة
ولا تنسي التفاصيل:
عَقَقْتُ مقلاعي، شُعبته المثلثة الرَحَمَاتْ،
مُغيّطتُهُ، كرزم الفخ، كرومي، ووحشتي الأبدية.

شُقّوا طريقاً أيها الكنعانيون في الوعر لحميركم،
لدمكم يُسرسِبُ كالماء في حواف الأنهار
عروقٌ كلون القزح تظهر في طين الحوَّرْ
الوروار،
يتكهن بالمغيب، بمواعيد الزلازل.
هذا أنا في القطارات، أرسم تضاريس قلبي
وأشبهها بآلائك:
- أحجارٌ كريمة، وزبيبُ بنات الشام
الحد الأدنى لكائناتي، ووحشتي المتدفقة.

غدٌ لا يجيءُ،
وماضٍ موغلٌ في الغيابِ،
أيها الحاضرُ المقيتُ.

رعديّة البُندق

قبل اليونانْ ... بقليلْ
بعد اليونانْ ... بقليلْ
بُرْجٌ عربيٌّ الطولْ
فرسٌ خضراءُ تميلْ
قبل اليونانْ ... بقليلْ:
- لا تأمن، الصَبيبَ،
غنجكِ أيتها البُنْدُقةُ لا يؤمنُ أيضاً، ولكنّني أقول:
أنفاسك لهبٌ، قوالب جليدية متنوعة الأشكال،
كمرمر المحاجر في بلدة بني نعيم.
الكنعانيات المكنونات كالمحار في عباءات القرنفلْ
يغتسلن بنشيد الرذاذ تحت الأشجار
أوراق صفراء تبدأ بالاسترخاء على الحجارة المدببة،
لا تأمن الصبيب.
هو المطر المفاجئ، سيّدنا، ووليٌّ نعمتنا
في الغابة السمحة.
أسمع تكسرات الريح، طقطقة الجذوع
وعلى شلاطيف الزبدْ، تُنشد أغنية الأبدْ،
لا يُسمع غير هَرير الماء، وضراعات البُندق،
كل حبة تُلطي تحت ثوب عرسها الأخضر،
أذيال البُندق، كشاكِشُهُ، أكمامهُ خجلى،
تبلّل جبينهُ بالمطر المفاجئ،
هو المطر المفاجئ سيدنا، وولي نعمتنا
ونحن زلمه، عُكّازُهُ،
لا تأمن الصبيب.
نُصبٌ تذكاري لجندي وحيد،
سال دمه في الوادي المتوحد،

ثعالب، نواعير،
شاحنات اللحوم الطازجة في طريق اليونان.
قبل اليونان ... بقليلْ
بعد اليونان ... بقليل:
بحيرةٌ ومراكبُ سماوية
نسناسٌ يتسلّقُ بلّوطة سلافية
ونحن في مطعم الغابة اللعوب
نرتشفُ نبيذَ البراميل الخشبية العجوز
نُقهقهُ هازئين بالفصول الملوّنة
نرقص رقصة الذئاب حول النار.
هناك شفتُ صبيّة كعود الزان
كريستالٌ مضيءٌ، وجهها الصبوح:
كانت اللغة عائقاً،
فأصبحتُ رسَّاماً،
أنا أرسمُ، وهي ترسمُ،
ثمَّ ابتسمتْ ابتسامةً أفعوانية مفهومةً،
فأدركتُ أن القطاف قد حانَ،
قبل اليونان ... بقليل
بعد اليونان ... بقليل:
مَرْمغتُها بالأوراق المتساقطة،
مَرْمغتْني بشهيق كالنواح
انتقمتُ لأجدادي المهزومين
أعلنتُ انتصاري على أوروبا.
أوروبا، أوروبا، أوروبا:
يمرّ الزمانُ، ولا ننحني،
رغم تجعّد جبين السنوات،
لكنْ... لا تأمن الصَبيب.
قبل اليونانْ ... بقليلْ
بعد اليونانْ ... بقليل
قد كثر القالْ ... والقيل:
هو المطر المفاجئ يقرع حنايا طفولتنا، فلنجرّبْ
نحمل البطّانيات، نلُفُّ بها ضعاف الطير
تشتعل الغابة بتوحش حناجرنا وصهيلنا النشاز
رعدٌ وبندق، لا تأمن الطقس والفتاة الغنوج
لا تأمن المطر المفاجئ كالمبادرات،
إلهي أنقذني من نظام الأبَواتْ.
كَهَنةُ الفساد، وكلاء الصحراء، جسور الاحتلال
ومنْ يدري غداً، ماذا سيصبحونْ
غداً، غداً، آهِ من غدٍ، دعني أتفرّجُ
مكتوياً بنار منفاي:
عواصف تُشوى على سفّود توهجي
دالية تتشعبط في ذيل ثوب حنين المطرّز بالحنينْ

الكرمل ساهٍ يلعن أيام الرحيل.
ابتسامتان تجلسان على الدرج الحلزونيّ،
تتبادلان الهمسات الغامضة،
وأنا أرقب السَّرَطانَ النهريَّ والضجيجْ
ترحل الساعات، عقارب الغابة البليدة، ترحل
شبيهة أحلامي، تتراقص تحت الحجر.

- هو يتحدث عن زيت الكويت ونارها
وأنا أغتسل برعدية البندق،
في عيد الصليب.
لا تأمن الصَبيبْ.
قبل اليونانْ ... بقليلْ
بعد اليونان ... بقليلْ.

غزال أبيض

ضحك الذئب الأموري
على ذقن الغزال الأبيض الرضيع
يحدث هذا في سوق الجمعة، أسبوعياً
ويجب ألاَّ نستغرب الأمر:

دفع له أربعمئة شاقل من الفضة*
كان طيّبَ القلبِ، ينخدعُ بسرعةٍ كعادته.
دفن المستوطن مَيْتَتَهُ في الحقل
أعطاه الغزال الأبيض الصغير،
عنقودَ عنبٍ ثقيلاً، هَدِيّة إضافية
حملته ثلاثة أحصنة ... ولم ينفغص.
ظل المستوطن يلتهم العنقود
حتى كان ماؤه الغزير يشرشر،
من فمه إلى صدره،
ومن صدره إلى الأرض.
ظل الحصان الأول يتأمّل، يأكل، يرفسُ
حتى غشي عليه من الضحك.
كان الحصان الثاني يرتجف حزناً كَحلحولْ:
حلحل الحجر، حرَّكَهُ،
وإذا تحرك الحجر، ارتجف،
ليس خوفاً بطبيعة الحال
لأن الصفقة لم تكن إلاّ مسماراً،
يجيء العابرون، يلتصقون بالمسمار
وينشرون الطاعون والأكاذيب.

نظرتُ من الكَرْمِل، (بكسر الكاف والميم)،
إلى مخاضات البحر الميت
من بلدة (أشتموع) ... تطلعتُ
من بلّوطات الأموريِّ في سفح الجبل الغربي
من جبل (ياقين)، رأيت:
كان (العناقيون)
يحملون أكياس القصل، والشيد، والحجارة الكريمة
يبنون مدينة تدعى (خِلْ إيل)،
تحملُ الخناجرَ الآنَ،
وأشياء أخرى لا يُسمحُ بذكرها
خوفاً من الرقابة.
هكذا وضع الذئب موطئ قدمٍ في المغارة
المغارةُ صارت مسجداً محاصراً بالغُزاة.
- كان الحصان الثالث يحمل نسخاً،
من كتاب المسالك والممالك للإصطخري
الذي أرّخ للحادثة.

حجر مؤاب

حجر أسود من البازلتْ:
قيل (طوله ثلاثة أقدام، وثمانية قراريط ونصف،

الشاقل : يساوي 11.434 غراه .

وعرضه قدمان وسبعة أعشار)،
وقيل (فيه أربعة ثلاثون سطراً من الكتابة الكنعانية المؤابية)،
تلك احتمالات مفتوحة.
حجرٌ أسود من البازلت
يقبع منسياً ومهاناً في السجن
أربعٌ وثلاثون نجمةً ذهبية تلمع في ليل المؤامرات
وجده الفلاحون الذين لا يجيدون القراءة
وجده المثقفون وخريجو الجامعات
الذين لا يجيدون الكتابة.
حجرٌ أسود من البازلت
باعهُ التجّار الذين لا يجيدون القراءة والكتابة
بثمن بخس للمسيو (كليرمون غانو)
أو أن المسيو سرقه، زَوَّرهُ في وضح النهار
تلك احتمالات مفتوحة.
يمكننا أن نتصور أربعة وثلاثين انتصاراً
كل معركة في سطر
وربما كانت في السطر معاركُ فرعية أخرى
تلك احتمالات مفتوحة.
خيول، عجاجها يملأ سهول المطر
رجال خرجت السيوف تلمع من ظهورهم،
جبل التقى جبلاً،
أنهار وجثث ومعادن.
كم غارة في الكلمة الواحدة
يمكننا أن نتخيل بعد أن نرش الغرفة بالبخور
ونترك الاحتمالات مفتوحة.
كم مغارة رُدمتْ على ساكنيها
كم نجمة، وكم من الوديان انتحر عند أظلاف الجبال
ولم نكن إخوة في الرضاعة
تلك الاحتمالات مفتوحة.
هو الآن يقبع في القاعة الرطبة، في متحف اللوفر.
الحجر البازلت الذي:
(طوله ثلاثة أقدام، وثلاثة قراريط ... ونصف
وسمكه قدم، وقيراط وسبعة ... أعشار
وفيه أربعة وثلاثون سطراً من الكتابة الكنعانية المؤابية).
حجرٌ أسود من البازلت
يرقد مشرئب القلب في القاعة الرطبة
يتطلع في وجوه زوّار المُتحف
يسأل أحبابه القادمين من الشرق
يتصبب عرقه من الخجل،
يتشقق فمه من العطش،
أو يشنق نفسه من الغيظ،
تلك احتمالات مفتوحة.!!!

دسَّ المسيو (كليرمون غانو) في النصّ
كلمتين، خنجرين مسمومين، كذبتينْ
وباعنا انتصارًا وهميًا مسمومًا:
انتصر (ميشغُ) على بيتً أموريْ
ذلك هو الأرجح، أيّها المؤرّخون
سأغلق النهاياتْ.

عيد الكروم

الأمّوريات، والأدوميّات،
يتآخين في نقر الماء في القُفّ،
عند الخلجان الجبلية قرب بلّوطات الأموري
يغسلن القنابيز في السيل، يستغبن الرعد والمطر
الغمامات سوداء في حالة الطلق،
تولد بالطبول والأناشيد.
بين كروم الكريستال، وحَبَلاتها
بين آبار الأفاعي الشقراء، والعرائش،
يتسلل صوت نَبَويٌّ
يا نواطير جبالي وسهولي، ونسائي المتشحات بالعروق:
الأحمر،
الكعكباني،
عِرْقُ محمد العابد،
عرق ظريف الطول،
عرق (ازدحني على الدرج) ... واحذر العبرانيات،

عرق (قابليني عند النبع) ... بدون جرَّة.
يا نواطير كرومي،
الكنعانيون يهرعون لحشو القش تحت قدور العَنْطبيخ
كالقيامة الهادئة، يزحفون وتزحف السلال
العنب البلّوريُّ كدموع المسيح يوم الصلبِ،
اهرعي يا عناكب ... تهرع
هرولي يا مريم، أحضري طفلك حتى لا تحرقه الشمس
حتى لا يسرقه اليهود
ناوليني يا سارة، الزيت، كي نغسل بنات الشام،
الحدّادون يحضّرون حذوات الأحصنة المتوحشة
يدقون المسامير في حفلةٍ،
لها صراخ الأطفال واستهجانهم
الغجر يتابعون المشهد من أعلى الجبل الوثني
ينفخون في الكير
تشتعل الجمرة، وتبقى الذكرى.
أهيمُ مبتهجاً، أغرّد كالتينة النعيميَّة
أركضُ وراء طبول النواطير والواويات والجنادب
بين أروقةِ التراب الأزهر،
أركضُ وراء شعاع وجهها القمري
أغازل جارتي، كي أحرقصَ حبيبتي الكنعانية
المتعالية الموزونة كمُعلّقةِ امرئ القيس
فتنة تتراكض في الحقول،
مثل قصيدة نثر، لم تعترف القبيلةُ بشرعيتها.
لروحي التي تشتعل في القطار، نكهة الغور والهيش
لأظافري الصلبة، ندوب الإزميل والبارود،
الذي انفجر في أصابعي،
وأدقّ نافذة القطار بقبضتي
وعلى ثغاء فم الطفولة ترتمي قنبلة
ينزف الأحمر مختلطاً بالأسود.
يوقظني حارس الممرات ليقول لي:
أيها السيد، أيها السيد،
بلدية المدينة أعدت لاستقبالك هذه الموسيقا العذبة.
وترجّلتُ من حلمي،
نسيتُ أيام الحَزّة واللَزّة والمصاعبْ
رأيت شبراتٍ بيضاً مثل عرانيس الذرة
تلمع في صفوف منتظمة في الساحات.
لكنني... واحسرتاه،
لم أصل إليها.

جاك بن يقير الأول

سأسند رأسي، وأقول الحق
قرب شجرة الزعرور

ثمارها الصفراء المُستندة إلى جذوعها
مبللة بندى استيقاظي المستند إلى الخضراوات.
سأسند رأسي
على ضفة نهر كثير التثاؤب في الفجر
يتمطى، يستند إلى كتف الرصيف
ينفث من فمه الضباب، والرذاذ، ولوحات مائية
وهو مستند إلى حقيقة ما
يسري في العظام كنبيذ قانا الجليل.
سأسند رأسي، وأقول الحق:
يعجبني ملك فرنسا
جاك بريفير الأول
يمسك بمخلوقاته المتنوعة، ويسندها إلى كُرّاسته:
من لويس حتى نابليون الشاب
يسندهم إلى طاولة التشريح،
وبمبضعه يبدأ في تقطيع أوصالهم
فيكتشف أنهم لا يفيدون شيئاً.
لهذا يغادر منزله قرفاً، مستنداً إلى عصاه
باتجاه النهر
يسند إصبعه في قفا الليل
ويبدأ بالتجذيف وسط الجموع.

كان جدّي كنعان أيضاً
يستحضر أكسيد السيلكون
لكنه لم يثق فيه كثيراً
لهذا لجأ إلى لعبة مزدوجة:
كَتب سنداً واستند علي، ولم يكن لي سَنَدٌ:
رمل... ورصاص
وأضاف لها أبجدية المقاطع وصاح:
هذا كريستالي وفجري،
استندي أيتها الشمس البحرية
إلى زنود العالم.
على سبيل المثال، لا الحصر
هناك شاعر نظيف السروال، والقبعة ملكية
يسند رأسه قرب قواقع الأرجوان
صاحب مزرعة أبقار على شواطئ البحر
يشرب النبيذ، ويمارس الهرولة الصباحية
يلتهم اللحم المشوي المستند إلى الفحم
في غابة البحر القرمزية
الموجات تتوالى، كتفتفة البحر
على كائنات الشاطئ.
رغم أن كل ذلك يجعل لعابي يسيل بغزارة
إلاّ أنني مضطر للقول:

- جاك بريفير... على العكس من ذلك
يبدو لي أنه عندما كان في الصف السادس الابتدائي
كان يسند فأسه إلى أريكة مهترئة
في حديقة معشوشبة
يرتشفُ زجاجة نبيذٍ من القرن التاسع عشر
مكتوبٌ عليها، اسم جدّه الأول
بحروف معوجّةٍ من ذهبْ
لكنّه... وقد أكّد لي ذلك أكثر من شاعر:
كان يلبس (الطائر الميمون)، و(فرسان العرب)
وكافة الأقمشة الرخيصة
التي كنا نستر بها عوراتنا القروية في فلسطينْ.

مريام الشمالية

ليفهمْ، ليفهمْ، ليفهمْ
ليفهم السيد المبارك كشاهدة في مقبرة الشهداء
أنه سيقضي علينا
وعلى نفسه في الوقت نفسه.
سوف يدير وجهه إلى قبلته ذات ساعة مندم
ولن يجدا أحداً يشفق على تعاسته وتعاستنا
لأن الذهب والفضة القمرية
لا تذهب إلى مصبّها في بستان الفقراءْ
لأن الأمهات توقفنَ عن الإنجاب احتجاجاً
لأن الدم يسيل في عرض البحر،
ولا يصل إلى مريام الشمالية،
لأن دعوى الأرملة لا تصل إليه.
ليشرب شايَهُ السيريلنكي، عندما يتعب
ليدقق في خطوط الخارطة
لينظر إلى شرايين القرى وتعرجات الأنهار
هل ظل أخدودٌ لم يبولوا فيه،
لعله يصحو من خمرته الرديئة.!!!

- وبعد أن تَلَوْتُ نصائحي:
كان يجلس على كومة القش
في رأس الجبل مثل الأيل
تضج خاصرته من الضحك.
اندفعت من فمه المواعظ كالسيل الهادر،
كالمُبادرات الأفعوانية.
- ذلك هو السيد المبارك،
سيد الأرامل،
سيد الجرحى،
سيد الرمل،
سيد المذبحة،

يستلقي على قفاه، يضحكُ في غرفته المُحاصرةْ
يقلّب أرشيف ذكرياته الجميلة:
(دم أبناء مريام الشمالية).
لماذا لا تكونين جنوبيَّةً يا مريامْ!.

فخاخ ... لاصطياد الوعل

هكذا
هي
فاسدةٌ
منذُ
انطلقتْ
تحت
الشجرة:

بعثتْ بي في الليل أمّي إلى مَغاور العَرَبْ. روث الماعز يشيع الرهبة في حاسّتي السابعة. كان أعمامي قد تراهنوا فيما بينهم. إذا كان الولد يستطيع إحضار عساليج القُرّيص!
أمي يا أمي
ليش قلبك هيك زيّ الحجر! ... ليش، ليش!. لكنها تريد إغاظة أعمامي ... عددهُم اثنان وعشرونْ، وقد يزيدون، اللهمّ، قلّلْ عددهم إلى واحدٍ مُتعدّد، سَمْحٍ، ليّن القلبْ.
يخرج ليلاً، يتفقد النساء، اللواتي يطبخن الحصى في طناجر الثورات. الرعشة تسري في جسدي، لأمرين اثنين:
أولهما: جسد أمي اليافع. ثانيهما: وحشة المكان. ثم أضفت سبباً ثالثاً لمُغامرتي:أن أكون خاسراً في الحالين.
أمي ... يا أمي: هل تريدين الاطمئنان على نفسك. من صخر الأيام المقبلة. أم أنك تشتهين الخيانة!
ظل قلبي يدق في الوادي في طريقي إلى مَغاير العرب، وأنا أصيحُ:
اللهمَّ، قلّلْ، عدَدهُمْ، اللهُمَّ، اختصرهُمْ إلى كسورٍ عشرية:
- أحصيتُ وشوشات الذرة الصفراء. سمعتُ هديرَ الماءِ الساكن في الليل. تجنَّبتُ عواءَ الثعالب القادمة من الجبل المقابل. شاهدتُ رأسَ الجبل، كأنه في الليل، رأس جدّي كنعان في مملكته القديمة. ارتعشتُ حين تعثرت أقدامي بسلحفاة. انبهرتُ حين قفز أرنبٌ بريٌّ بين شجيرات الشيح. تكورتُ حين سمعتُ صوت عواءٍ بشري. أمي يا أمي ... ليش قلبك زي الصوّان. طيّب ... خلّيهم يتراهنون على أولادهم، لماذا فلذتك إلى التهلكة ... ليش ... ليش؟. وقبل أن أكمل هذه الليش، كان سيفٌ يلمع في خاطري، كان مرصعاً بالنجوم، على شفرته الحادّة دمٌ، أما ظهر السيف، فكان أصفر كحبّات الزعرور. وبدأت أصرخ بأعلى صوتي، لعل الإيل يسمعني، فيرد الصدى في مشماش الجبل. ثم هدأتْ الوحوشُ، استرسلتُ في الغناء، مدعياً أنني أقود جحفلاً نحو هدفٍ سهل، مما شجعني على مواصلة السير. كان الوعل أكثر سرعة مني، ركض نحو النهر، عميقاً كان النهر، وعلى شفرتيه طحالبُ، نظّفها الوعلُ جيداً، واسترخى، وهو يهمهم ويقرأ سورة النهر أمام النهر. النهر المسكين ينسل بهدوء بين الصخور المرجانية، وأنا ركضتُ أفتشُ عن أرجوان أجدادي. لكن الوعل سبقني، ولم يبق عليَّ سوى أن أقتله بسهامي. ربطتُ حصاني قرب شجرة البلوط، وبدأت أفكّر: إذا أطلقتُ النار من البندقية، سمعني اليهود، وإذا أرخيتُ السهام على الوعل، فالأمرُ لن يكون مضموناً. فكّرت بأمر الدنيا، وقلت لنفسي يا ولد، لماذا دائماً تثير لنفسك المشاكل:
هكذا
هي
فاسدةٌ

منذُ
انطلقتْ
تحت
الشجرة.

ثمَّ أغلقتُ القوسَ، إذن ماذا أفعل؟. هبطتْ عليَّ أمي من قبرها على شكل حمامة لمعتْ في خاطري، وبدأتْ ترسمُ لي الخطّة على الشكل التالي: عليك أولاً بالمقبّلات، تأكل عنباً ندياً على طاولة البحر، أو تَصْحَنَ الفلفل الأخضر الحارق كالغزازوة، تُتبله وتُطعمهُ لثعالب البحر، ثم تمشط أصابعك بالعشب، يسري النبيذ كالحرقة في عروقك. تستحضرُ السهلَ الساحليَّ. تبدأ: ترسم الأكواخ والطين والعشب الأصفر، ثم تنادي بأعلى صوتك، نواطير البحر الميت، فإن حضروا كان به، وإنْ لم يحضروا، لا تستلم للنعاس، على الأرجح ستكون في طريقها إليك. ثم أحضرت كتاب النصوص، وبدأت أقرأ منه قصار السُوَر، حتى استرختْ أعضاء الوعل البريّ، وبدأت ذكورته تتقلص... حتى غفا على وسادة من الأقحوان. أما النهر فظل يركض لا يأبه لضيفه الثقيل الدم، وكانت العصافير تتجاذب أطراف الأحاديث، حول لجنة المتابعة، وبدأت تتعابثُ وتتغازل، حتى خلْتُ أن عصفورة حملتْ على الفور، وأنها ستلد طائراً، له رأس أفعى، وجناحاه من الأرجوان الكنعاني، لكن العصفورة لم تلد، بل تمطت وتثاءبت على شجرة الرتَم، كأنها تصحو من النوم بثيابها المزركشة. هدير الغابة عاصفة كالعروس، نجمة تهطل ثلجاً وغيوماً داكنة. ركض الغجر إلى أطراف المدينة، باحثين عن رصاصات قديمة، عن حلي مدفونة في المغاور. أدار الوعل قفاه الجميل، يلهث كعذراء تجرب لأول مرّة، ورأيت فيما يرى النائم، عيون الغيلان تطاردني، حتى في أوروبا يكثر الفضوليون. ثم انتحيت جانباً وبحثت عنك، وركضتُ، صرختُ، دَقْدَقْتُ رأسي بالصخرة، فتدفق الدم الزلال، حينئذٍ استفقت من نومي، دون أن أقتل الوعل. أكسر أطباق المنزل الوحيدة، أمضي نحو الوعر، أقول من هنا مرّوا. أهبل، طبعاً سيهرب الوعل منك مع خيوط الفجر الأولى، تلك عادته، لأنه يكره الليل. ثمَّ أدركتُ أنني ما أزال أعيش في صوفيا تحت ثلج جبل القيتوشا. كم أنت قاسٍ أيها الذي في السماء البرتقالية، الداكنة المائلة إلى المذبحة. ليش!! ليش!! ليش!!.

هكذا
هي
فاسدةٌ
منذُ
انطلقتْ
تحت
الشجرة.

تتشمم كبد إيكار

بيني وبين إيكار ... مسافات ضوئية
ومع هذا، فنحن نلتقي غالباً،
في نقطة واحدة من العالم،
ليلاً، دون أن يرانا أحد،
رغم أن الليل في بيروت مثلاً،
ليس شرطاً لستر الأسرار.
هو غريب الأطوار،
فعلته خطأ لا يتكرر كالديناميت
هكذا قال لنا المدرّب
وهو قبل فعلته، كان مصاباً بتشمّع الكبد

كان ذلك سراً للمقربين فقط
هو ابن الطائر، وهي من شجرة الانشقاقات
ومع هذا فأنا أتوقع
أن يكرر التاريخ نفسه
أحياناً يكرر نفسه يا سيدي:
هو سيحترق بشمسه
وأنا سيذوّبني المنفى مثل شمعة
هو يتحد بعباءة العشب السماوي
وأنا أنحلّ في تراب المنافي الصخرية.
تلك مشيئة عدم التخطيط يا إيكاروس
هل تصدقني الآن أيها المرحوم؟!!
هل تصدّق؟!

في حفل عائلي بهيج

ضمّ أحصنة البحر، وثعالبه
ضمّ قلاعاً مُسْوَدَّةً، ومناجل صدئة
ضم ثياباً أرجوانية من صيدا
ضم بريداً للقراء ... وخمسَ غاراتٍ،
ضم وحوشاً كثيرة، ويمامات
ضم العصفور، عبّاد الشمس،
ضم نجوماً تسبح في بركة الخضر الأخضر
ضم سيفين من البلاتين، كهرباء للروح
ضم جنادب، عنادل، بلابل، وأسلحة بعيدة المدى
ضم دوراً منسوفة، حديدُها يتعرى في الحفلة
ضم أحبة تحت الأنقاض
ضم سرير الطفل، الحمام ببلاطاته المكعبة
ضم شعاع الرماد الذهبي
ضم أرائك، أسرار الفخذ، الطحال، النخاع الشوكي
وكانت العروس أقحوانة على هودجها الكنعاني المدمى
ضم غربة قلبي ... وتشققاته... أيها المنفى الكلب المَسْعورْ.
- أوصلُ ما يوصلُ، أشعلُ ما يمكنُ،
أتحوصل في داخلي، أرجف كالتلميذ المذنب،
هكذا يحدث حين تكون بعيداً،
ترتكز قرب المحطة، كالنجم الهارب من مداره،
تتسلق ظهر القطارات المسافرة إلى الأبد،
تتأرجح، تندلق، تنصبّ، تتلوّى، تذوب،
ترقص رقصة الديك الذبيح، حدادا
تتباهى بضفائر جارتك الشقراء،
تقاوم التملق، فينكسر القلب في الوحشة،
ترعى ماعز أوهامك في غسق النهايات،
تستحضر أرواح الأشجار الشائخة،
تتمادى في اختراق أسوار الوسن،

تشرب قهوتك المرة،
تتسلل في حلمك نحو حقول النارنج،
تتكهرب، تنبلج كالصبح، تغير كالمغيرات،
تعدو كالعاديات.
ثم تقول لساحة العرس هزّيني
رقصة المجزرة، عرس المقابر
كالعهن المنفوش على الشوك، أحبتي
كل ذلك يحدث أيها السيد،
وأنت في سمائك لا تريد أنْ تستمع لشكواي.
ليش!! ليش!! ليش!!

ضع نبيذاً في الجرار

مَنْ يُسندني إذا ترنّحتُ من السُكر!
مَنْ يُعيد الموسيقا إلى قيثارتي المكسورة!
منْ يحمي أغنامي من الذئب الأزرق!:
هاج البحر الميّت، واضطرب الغمر العظيم
ارتفع الرذاذ سماءً مالحة، على حجر كنعاني
القاع أصبح زيتاً أسود طالحا،
الشاطئ انقشع فراقاً مُرّاً
ثم تناثر السكر من القصب على الملح
فكان دم الدالية، نبيذاً مُزّاً.
أريحاً ذات النخيل والموز
صارت جارة لنهر الفرقة الحزين.
كانت كنعانيا،
تمتدّ من سيناء الفلسطينيّة حتى اللاذقية
ومن كريت وقبرص حتى أطراف الصحراء
تمتدّ من جدّي كنعان إلى جدّي نعيم الداري
إلى جدّي عزالدين أبو حمّرا
إلى جدّي ظاهر العُمَر.

غضب البحر الميّت، ولدت البرية
وظلت الخليل على رأس الجبل
تشاهد البانوراما المقدسة.
شواء آدمي تحت البلدوزرات
هُمْ أحبتي الذين ذبحوا في عزّ النومْ
هم أحبتي الذين دقوا رؤوسهم بالصخرة
هم أحبتي الذين يتقلبون من أسى يجرح الحجر
شربين لبنان ينساب دمعه في الشقوق
لطخ الشيبُ لحيته بالدم
من يسندني إذا ترنحت من السكر؟!
من يدفن ميتتي في البرية المتوحشة:
في البدء كان العنب الدابوقي
هاج البحر الميت، واضطرب الغمر العظيم
ارتفع الرذاذ، وأصبح سماءً
الدم تناثر في وهاد كنعانْ
عظام أجدادك تلمع في الليل كالسكاكين
البحر يدمدم، البرق يصطك ...
- ضعْ تضاريس قلبك في قلبك وارحل نحوها
تجد البدء، تجد الوحوش الأخوية
أعطِ أسنانك الذهبية للأرملة الجائعة
قُلْ للشبل: أين تقع قريته البعيدة
ضع وردة فوق قبر أبيه
قل للألفاظ الجارحةِ أن تجرحكْ
قبِّلْ ثرى الأحبة في الخفاء
ضع نبيذاً في الجرار
ضع طلقة في المخزن
لصيفٍ قاسٍ سيأتي، لممرٍ ضيق سيمر،
لنجمةٍ مهجورة،
لخوفٍ هائج في الصدور.

وسقطتُ - سهواً - في محبّتكم

الخسائرُ في غيابها:
ثلاثة قمصان ملونة،
ثلاثة بناطيل كاكيَّة،
وقلبٌ منكسر.

في أحايين كثيرة، كالومض،
ألمحك تَلْصفين كالذهب الخالص،
نبضك ينسل في جحيم منفاي
أكللك بالشوك، أربط جديلتكِ بصخور احتمالاتي
أرتقب السفن القادمة من موانئ المهربين والتجار
مستحيلة أنتِ، أو مستحيلٌ هو المستحيل

لكنني أجلّل نفسي بالتعلاّت:
مثلاً،
أن نلتقي مثلاً، صُدفةً في الطريق،
عند محطة الترام في خليج الهدير
المراكب تهتف، وأنا أعتقد أن ذلك من أجلنا.
محبتكم أرقُ الزيتون والأرز، شوكٌ وتسابيح
محبتكم، أصفاد، فراق، جسور، أفعالٌ معتلة.
محبتكم أسىً يصطادني... فجأة
وأنا أرقص في ساحةٍ غريبة
محبتكم صليبٌ متوحّشٌ يلتهم مدينة حبي
ينقذكم منه مواطني الصالح: الخضر الأخضر.
كالومض حفيفُ صوتكِ المولود حديثاً
كثغاء الغزالة.
الخسائرُ في غيابها:
قنديلٌ سماويٌّ،
رحيقُ الجسد،
وقفةٌ على الحدود.

إنه يكذب كثيراً حين يكتب عن عيونها
قلت ذلك، واندلق البحر كإشفاق الأم،
تُترغلين بالفرنسية، تدمدمين، تتمتمين
وأنا أضع التعاويذ على خاصرتك،
أستعرض فحولتي الكنعانية،
أسأل البحر أن يحميك من العيون.
فنلقل للرعاة والجوالين:
دقوا مسامير حبي على أراغيلكم
فلنقل للحصادين:
إنّها تلتقط السنابل الجافة في بيت لحم
تعشق أكوام الكتب المتناثرة.
تعشق صفّ أحزاني المكظومة
تعشق ادّعاءاتي وأكاذيبي الواضحة.

- هي مواطنة ... وأنا مقتلعٌ
والأدهى من ذلك أنني فلسطيني!!!
ماذا ستقول أمك المتكلسة كالكتب المغبرة
على رفوف مكتبتها الأنيقة
ماذا ستقول، البحر شاهدٌ على ما أقول.
هي رحلت إلى شرقيّتها
وأنا بقيت في مربع الضيافة الثقيل.
الخسائرُ في غيابها:
ثلاثةُ أطباق أكسرها
ثلاثُ نجومٍ غائبة،

وغيمة مطرودةٌ من بيت أهلها.

- هذه البلاد أقل نجمُها في قلبي
إني قد بلّغت،
كنعانُمَّ، فاشهد!!
كنعانم، فاشهد!!

صخور آندروميدا

مسيل حصى، بطحاء، وقواعد عسكرية أجنبية
طين أحمر يداوون به جراح قلبي:
(سفرجل، زبيب، تين سباعي، إجاص،
قضم القريش، وتفاح الجن)
أول فأس نكشت حقلاً كانت في يافِهْ
انتبهوا – بكسر الفاء، هكذا:
يـا ... فِـهْ،
اسمك الجميلة، وأنت حقاً جميلة.
أندلساً صرتِ، ولم أكن فاتحاً
جذوري فيك تمتدّ إلى قاع الزلازل:
ياما على صخورك السوداء المغروزة في البحر،
غزلتُ ساعاتي،
أغازل بصنارتي ندى الصباح
أمدّها باتجاه قبرص
تنجذب قبرص كالسمكة في شباكي
تحضر طائعة مرضية
أصرصعُ الحوتَ، فيخرج السيّدُ منه
السيّدُ الذي كان يجيد السباحة تحت الماء.
شجيرةُ اليقطين ظللت جبينه المعروق
الشمس لوَّحَتْ أوراقها، يَبسْتُ مثلها.
ألا تحزن يا سيّدي على بشر يتناسلون في المجزرة؟!!
أطرح أسئلة، كان لا بد أن تطرح من قبل.
أندروميدا،
مربوطة بالسلاسل،
البحر الذليل عند قدميها،
تتباهى بأجنحتها وضفائرها،
أعطنا مما أعطاك البحر،
تلومنا الشمس والبحر زعلان علينا.
غمامة العطر تهبطين فوق الموجة
يا جميلة الجميلات يا ابنة الصخر والبحر والريح
لك الملك أيتها المربوطة بجذور الشجر
تَتَبجَّحينَ بعنفوانك ... ها أنت تذوقين المر.
تطيرين إلى مدن العقوق،
ها أنت لا تطيرين ولا تتحركين

اصرخي، اصرخي وحدك،
على صخور البحر ومرجانه الذهبي
ارحلي إن استطعت سبيلاً،
ها أنت تعتازيننا.
آتيك كصقر مخالبه تنبش الصخر،
أفكُّ سلاسل آلامك،
شرط الندامة والتوبة، والنقد الذاتي.
نحن نتكلم الكنعانية، دون أنْ ندري، وإنْ لم تصدّقوني،
هذا بعضُ معجمي:
حليبٌ، خمرٌ، طهارةٌ، ولدٌ، يدٌ، يـمٌّ، وعرٌ، يتيمٌ، كاهنٌ، مبنى، ملاّحٌ، نجّارٌ، نحاسٌ، زيتونٌ، بنتٌ، جِنٌّ، جرّارٌ، بعلٌ، حجرٌ، حكمة، صوصٌ، سُلّمٌ، مسمارٌ، رأسٌ، رعشة، اسمٌ، ثغرٌ، تينٌ، تمرٌ، قولٌ، شمسٌ، بئرٌ، قناةٌ، ختمٌ، قداسة، أثرٌ، سنة... الخ.
أيتها الفصحى الكنعانية المنغرسة في أرواحنا:
أرشو قمر النار بالبرتقال والفسفور الأصفر
فيهرع مرخي الأعضاء.
أسير معك في الموكب العظيم
ذيل ثوبك،
وحشٌ طوله أربعون قدماً بالتمام والكمالْ
له شكل الحية والتمساح،
الشعب يفرح لمشاهدة الوحش القتيل
تزهر الأرض بعد الرقاد:
(القلقاس، العناب، الكَعّوب، النارنج، النبق، والسماق).
من شموع دمي أضيء مغاورك الساحلية، من عظام أجدادي التي تلمع كالنصل القمري، أفجّر ترشيش، فيندلق الزيت في الوهاد، يرجع الطاعون راعياً في الجزيرة، والبحر سيد يحكم النخيل والرمل، تدق الطبنجات إيذاناً بعودتي، يعلن المنادي من أعلى الشقيف: النساء يتشردقن بماء اللهفة، جررن الكحل بالمرواد، من زُعَر الملح إلى إرواد، لبن يغطي مساحة الحداد، وآندروميدا:
تت (رب) بع، على
عرشها الساحلي.
وأنت أيها السيّد لا تسمعني.

خيمة ساحلية

لخواتمك الأنتيكا، لصليبك، لحواشي النهر
للخرزة الزرقاء،
لسمرتك النافذة إلى جسد الصخر
لمساماتكِ القروية المشققة
لعيون بنيك المرخاة إذا هجم الفجر
لجراحاتك الطويلة الأمد
لرصاصتك الطيبة الأسماء:
سأكون جاهزاً لإطلاق النهر
إذا أمر السيد،
أما إذا لم يأمر،
فسأذهب إلى مقهى الأندلس،
أدق كأسي بكأس طارق بن زياد،
وأقول: اتبعيني أيتها المدينة،
بنطلون الكرمل، غيمة ساحلية
عيناه اشتياق السيد في الليالي الراعفات
لأفاعي الماء.
لأفاعي الماء،
لنهر ليطا، لجسره المهدوم،
لعشبه الأخوي، لنصائحه،
لابن زريق الشامي، لعلي بن الجهم الدامي
لحنين الصقر، لدليلة الغزاوية ... أكرر
أكرر كلمة كنعان؛ أ ... مّو ... طّو ... ها
هكذا في الصف:
كا
ن

عا
ن
حتى أصدق أنها تخصُّني وحدي.
أرسمها على النحو التالي: ك-ا-ن-ع-ا-ن،
أدوِّرُها حتى تشبه الصوص في البيضة:
(سكانر)، (سكانر)، (سكانر)،
مَنْ يرسم صورته الأولى!
أو... كما كنا نتمازح في الصبا:
حنش أسود، ولد من وحش بري متطور.
سكانر، سكانر، سكانر.
وإن أمرني السيد بإطلاق النهر
أرسم بنطلون الكرمل، أخطط المدن الساحلية
وأقول هذه حيفا
أو
أو أفعل كما فعل أبو محجن الثقفي.
سأفعل مثلما فعل أبو محجن الثقفي.

أوّل الكلام

أتمضمضُ باللعنة. كأهل بَرْجا في لبنان
أرشقُها في وجه الأساطيل مُتَعددة الجنسيّات،
أوّلُ كلامي.
بلادكم عَجْعَجَت بالنمل والسجون
بلادنا رَبَّعَتْ خُبّيزةً وبقولاً،
أول كلامي.
لفخامتك، لصهيلك الأرجواني، لغمامك الذي يغشاني فجراً
تقف السحابات، والرذاذ الساحلي المجيد.
ينحني ... وأنتِ تتهيأين لاجتياز الجراح.
مهرتكِ، عصافيركِ وعبيدك،
نبضُهم، سُويعات عشقي ويقيني
تكونين شاهدةً، أغربلُ الحصى، أرشُّهُ فوق خلاخيلك.
فتُهرع أسراب المدن، ولا تصبحين ذكرى.
يتوقف المطر، يهجم الجرادُ،
أكون أنا ديمة فوق صحراء عشبك المزنَّر بالقروح
تنسكبُ الغمامة، أقطع الطريق عليكِ،
تركضين جاثية تتوسلين لي، تترجّين أن أقيكِ شر الماء.
أضع ضلوعي جسراً وأطير بك،
الغور رقرقَ، والشريعة فاضت على القيصوم والحشيش،
الحمام الأزرق باض في الهيش، أريحا تمد ذراعيها
تخرج الحجارة الكريمة لاستقبالك، نافعة من قديم الزمان،
نافعة في الملمات. رمان نهديك يذبل، وأنا أرش عليه
رذاذي، أرُشُّ جماهير قلبي المحتشدة في الشرايين.
تتفرعن أشجارك، يهب الهوى، يرتفع القميص،

أرى وشْمكِ الأزرق المدقوق على ذراعيك الكلسيتين.
دون أن تحمّليني آثامك، دون أن تمنّي على سلالتي.
- خبأتُ حصاني حتى لا يعكر الماء، له حذوة من ذهب،
وجنازير من فضة، وله عُرْفٌ كديك الصباح،
وأسىً في العيون الجريحة.
- لا يموت حصاني، يموت بعلك، تقضين عمرك أرملةً،
تركضين ورائي،
والفراعين حولك مثل الذئاب،
ولا يحميكِ أحدٌ غيري.
- مرحباً ... مرحباً.
حاملات الجرار، ينشلن الزبل من البئر، قصدير تواريخي،
كي أغيظك، تتلفتين، فوق شالك وردتي الصفراء، وقذلتك
ملفوفة بالعطور الجبلية.
تسافرين ثم تعودين مزججة، تفرحين ولا تصدقين عطوري.
تهبطين كالوحي في المعاصر الرومانية، عيونك كالنرجس الجبلي،
تُثيرين مملكة بكاملها، تنحدرين نحو وادي العقيق ونبع الصفا،
الخليل تقوم في الفجر الأدوميّ المتوهج، وأنا غارق في سبات الكلام.
أسنانك الذهبية تتلامع، ينهمرُ الشعاع،
تقتلين صفوفاً، حشوداً من العاشقين،
أتمضمض باللعنة كأهل برجا في لبنان
أرشقها للمارة، في فجاج العواصم الصخرية.
أهجُّ في مدن، أعدك بألاّ تموتي مثلي فيها،
أصرخ: نِدْعَة من ريقك دوائي
أهزّ حِدْلَكِ، وأرقبُ ابتسامتك في هجيري
جفف الخمر ريقي، هُرّي حبك الملكي يا زيتونة الضوء.
أستخرجك كالمعادن من مراكز إثمي
أجوحُ عليك، حين تحضرين في هدأة الحلم يمامة من عنب
نجمة من أعمدة الملح في السدود.
في صباح ندي مشبع بالرذاذ الفسفوري،
قرب قضبان منفاي،
أقربك من روحي
أقول لك: أوّل كلامي.
وأنا أتمضمضُ باللعنة،
كأهل برجا في لبنان،
أرشقها في وجه الأساطيل المتعددة الجنسيّات.

سأخبرك فداً ... إن استطعت

هاتِ كأس النبيذْ. صار وجهُ الصباحْ. كُركُماً وأقاحْ. واسقني في الكروم. كي تغار النجوم. من رفيف الوشاحْ. لا تقُلْ للسفوحْ. أوْ لوجهٍ صَبوحْ. سرَّكَ المُستباحْ. أيّها الساهرونْ. كان أوْ سيكون. تَسْرُدون المُتاح:

- قصيدة كتبا .

- ضفائر أبريل يجزّون. يضعون قلوبهم والقناديل أمام العذارى على الطاولة. المسألة تختلف من بلد لآخر، خذ مثلاً في أثينا،: تهرع الإغريقيات إلى الكرنفال، يختلطُ النبيذ بأجساد أجدادنا الموغلين في الموبقات. وفي صوفيا، يكسدرن بتمهل، حين يصلن قرب السَبَخات، يناديْنَهُ فيجيء، وفي غيبوبته يهرقن السحر دمعاً، أما هو فيكثر من الوعود بالزواج. وفي صباح اليوم التالي، ينسى، لأن الأمر قد يصبح عادياً.

- البعض يقول: إنها برتقالة ساحلية، البعض الآخر في البار يحضرها وينكّش غُرّتها، فتجيء إليه. ثالثهم قال لي (مُقسماً بألوان علمه الوطني)، إنها مزبلة، تنبش بأظافرك الروث، فتركض نحوك الأيائل منسابة كالأفاعي، أضاف: لها خصائص نارية ونورانية تستمد بلاهتها من تراشقنا بالثلج، تفركُها، تُمَسّدها، فتركض نحوك، حينئذٍ ينسكب النور من جبينك طبعاً. تمسك السرخسيات بنعومة، انتبه: بنعومة، يجب أن تفهم ذلك جيداً: بنعومةٍ، بنعومة، بنعومة. تقوم بتدليك السهل الأبيض أولاً، تبدأ الأفعى بخلع قشبها، تنسل نحو عروقك مثل النبيذ المُقدّد، إذا سمحتَ، لاحظ معي: ينبغي أن تعطي فرصة -دائماً- لغريمتك، لتُعِدَّ نفسها للجولة الثانية، تلك مزايا الفرسان، حين تصل ذِروةَ الهضبة، تكون الملعونة قد جاءت تسعى، صاغرة مطيعة كالخاتم في إصبعك. تنكمشُ في حضنكَ كعصفورة هاربة من البردْ. روى آخرون – من ضمن ما قيل – أنها ملكة طروادية، تشتري ثيابها الأرجوانية من أسواق صيدا، ثم تعرج على قبرص، تلتقط حصى الشواطئ، وسيوف الإغريق المنسية، ثم تمر على جزيرة كريت، (ورد ذلك حرفياً في كتاب النصوص)، أي والله – جزيرة كريت، حيث تُذيب القرميد، تصنع منه حناء لقدميها، وحين تكتمل، تقترب من المذبح، تقرأ سورة التراب. أحد الخوارنة الأرثوذكس، أدلى بتصريح لطوبة كنعانيّة، فانمحى الأصل، وظلّت بقايا التصريح على حافة الآجرة: مثل الطلق قبل أن تهزّ مريم النخلة فيسّاقط رطباً جنياً. ناديت مريم جارتنا في الجراح، وجارتنا في حصاد الشعير، وجارتنا في القيظ والزمهرير، قلت لها: أمّنا، أو ما كنت تستقرضين كركمك وبهاراتك من أمي، أو ما مرّت العربات، فعلفتها من مِدْود السيد التلحمي. لياقوتكِ البدوي، غنّى الرعاة في تل الفرديس، رأسه مثل جنّي محروق، عمَامتُهُ خضراء مثل قباب النبي، منذ اللحظة التي أنجبت فريقاً لعينيك يسجد، فريقاً يشم جراحك من بعيد، فريقاً يسجد لعذاباتك النبوية، الخليل جارتك الدموية في سلال من أنكروا تشقق أقدامك في جبالنا الصوانية. مرة دون أن أسأله، أشار لقطيع من الماعز في سفح جلعاد وقال: إنها في المصنع زنبقة، وراعية في الأدغال، وهي مقبرة من حجارةٍ فخمة، قناديل من الأزهار تطل على الدانوب. تركت القارب، تطوح بالمجذاف، تداعبُ الإوزّ الملون قرب فندق على شكل سفينة نوح، طوفانها ناعم يجرف الشوك فقط. هي اغتصابٌ مشروعٌ لعذراء تريد ذلك في البرية، بشرط أن تتطلع من قمة الأشرفية، لترى بدو المسيح ورعيانه يساقون للمجزرة، هي (سقا الله)، (أين أيام الصبا)، موشحات، قدود حلبية، ومعلقات على جدران الكعبة، هي رحيل إلى بلاد الروم. هل يصدق الرومُ. لم أذهب إلى الروم يا إخوتي، إلاّ عندما ذهبتم إلى الشيطان الرجيم، هُزم الرومُ، وبقيتم عبيداً للشيطان.

هي (جيكور) السيّاب، و(إرواد) سوريّا، (وكرمل) أبي سلمى و(خزّان) غسان، وهي رؤيا الرائي، قنبلة موقوتة نتفاجأ بانهماراتها، موعظة في مسجد الماء، حداء في عرس فقير، رصاصة صديقة أو عدوة، عشب وطحالب، ومآذن تصلي للواحد القهار. هي حوافر الخيل، تجر الفلسطيني مجتازة مغطس السيد، دون أن يعترض أحد. هي صراخُ النساء والأطفال في مذبحة صبرا وشاتيلا، دموعهنّ المتناثرة، حين يُلملمن اللحم المتناثر، لم يستمع لهنّ أحدٌ حتى السيّد. وفي كتب العروض لها صفات أخرى، هي: رمل، بسيط، سريع، منسرح، مجزوء، مخبون، مجنون، مطوي كسكين تأبط شراً.

ومع هذا
فأنا شخصياً
غير مقتنع
بكل هذا.

سأخبرك غداً إن استطعت أن أعرف.!!!

قداستها

في المرج، قداستها تَتَقصَّعُ، تختفي، وتظهر كلما اشتد الرقص. طفلي الذي هَرَتَ تحته ونقّع الفراش، رآها في حلمه شخصياً، وحين صحا، كان يعرف أنه مذنب، لهذا بادرني بابتسامة على غير عادته.
كنت أحاول أن أستعرض فتوتي، أما هو فظل يلعب بحمامته،لا يعبأ بالحرب. كان ذلك فجراً عندما، الحجارون سَرَوا إلى مقالع المرمر في خربة (سَنّوت) غربي البحر الميت، قرب بلدة بني نعيم، شرقيّ الخليل بنتفةٍ، حيث هرعوا بسراويلهم ... أي والله، بسراويلهم، وقداستها تتمنجق في المرج، تشوي القطعان، تعلقها على أشجار البلوط.
عصفور عفريتٌ ظل يغازلها، يلحقها من شجرة إلى شجرة، صوته يمكن تحديده بالمقطع التالي:
كيف أرسم المقطع الصوتي يا فتنتي
دون طباشير، دون بوصلة، دون ميزانْ!!
أمسكتُ حجراً، زَتَتْهُ في قعر البئر لأرى الدوائر،
فاضطربتْ عصافيرُ الأعشاش، بدأتْ حفلةُ الزقزقة.
لا تدهس صندلي المرتق بعربتك أيها الطفل، أنت تعرف أن الغرفة ضيقة والحياة أيضاً. في ذلك الزمن أعلنتْ الحرب: النساء يَدْرُزْنَ على الماكنات ثياباً مرقطة مثل بطن حيّة. قداستها تتمختر في المرج بمنديلها الأبيض البفت. صندلها أحمر وإبزيمه ذهبي. النساء يتصهيّن، حِنّاهُنَّ مُرطِبٌ كالسرخس. بحر قداستها بلا حيزوم، الحرب تبيع عشباً لفقدان الذاكرة. خذي سن الحمار، أعطيني سن الغزال. سأقيم مائدة لطفلي، أطبخ سنينيَّة، أبي راكض خلفها في التلال، وأنا طُعمُه الفريد الذي تشتهيه، عرق قداستها يصب كنتح الفواكه الجبلية، الغريب يدخل حلبة العذاب، الغريب له صوت التفاح، مِسْحةُ الزنجبيل. ولم أخبر أمي حتى الآن عن قداستها، رغم أنني قاربت الأربعين، هزمتك مرة واحدة يا أبي.
تتقصَّعُ فاتنة المرج، تُدلّل مفاتنها
رَجْرَجَةً لدْنَةً. دَلَعُ اللذّة دمَّرني
قداستها شفّافةُ القلب، الثيابُ رِدَادٌ
يسقط في ساحة بيت لحم
قداستُها تَتَـ ... قصَّ ...عُ
تزلزلُ الساحة، وتُزلزلني.
إلهي – لماذا يخطفها منّي تاجرٌ مصابٌ بالتخمة.

سراويل كنعانيا

في ملعبِ العشبِ يلعبُ الماءُ، الشُجيراتُ غريقة
أنت تُترغل مُسبّحاً بحمد المتوسط،
ولا أحد يفهمك ... حتى أنا ...
أنا الذي أصحو عليك،
تتمضمض بالحليب قبل الفجر،
صهيلك أيقظني من عزّ النوم،
أنت تتابع غواياتك يا طفلاً مزعجاً،
يا طفلاً بلا جواز سفر، بلا دُبّ أبيض، بلا وطنٍ،
يا نُصّ نْصيصْ،
يا طفلاً، كلباً، اتركني، أريد أن أنام.

فتيات القرميد يبدلن أثوابهن المبتلّة
خلف صخور الوادي.
كالثعلب، أدسُّ أنفي في المسام القروي،
البحر شاهدُ زورٍ،
لا يستطيع الإدلاء بشهادته المشبوهة،
وفي وسط الضجيج، يرتخي فكّي، يتدندل لساني:

طفلي الندي كالخضار البعلية
سأحيط النوارس بسياج
سأنادي النوارس الملكية
بدلاً من عباءته التي
دون ضغوط خارجيةٍ
سبّحوا بتعاليمه ووحوشه
فارتعشت كائنات البحر
سروج مذهبة عليها
تتنافس حول مصير

يصهل ويكركر
من حجارة أجدادنا
كالعباءة الزرقاء
لا تحمينا
مع البحر صَوّتوا
ومرّت المركبات
كُلُّهم يريد استضافة الحوذي
نقوش وسيوف وطيور
سمك القرش... وادعاءاته.

الآن أكتشف دواء لضجر الرمال،
أعلّق مشنقة لتجديد حيويتها،
ثم أرمي رمادها
في الكواكب الأخرى.
أظل أنا وبحري... وسراويل كنعانيا،
ونكهتها الأثرية.

مُتَسلّمُ صيدا – أزعج الجزيرة السوداء
غرز في جسدها الرماح، فانبلج الدم
سمك أحمر تدمع عيناه من البهجة المرعبة،
خياشيمه بيضاء من الشيخوخة،
يعرف تاريخ الأساطيل... وأمَرا... الماء...
صخب السدر، ومناقير الحبارى،
قرقعة السيوف في الكتب الصفراء.
البحر الميت جثة مصلوبة على الحدود
له ما لنا، وعليه ما علينا،
أفراسنا تفتح مناخيرها،
تتكور نافقة على المنحدرات،
أعمدة الملح أكثر نقاء من الروح،
الأيائل تترافس بين السدود،
قرونها أطول من شجر الحور والميس،

لم أرَ شجرة الميس في حياتي، لا أعرفها
لكنّني عشقتُها من أوّل حرفٍ في اسمها.
شمس تلعب دورها ولا تمضي
منذ أن دقت الطبول لتغرق المدينة.

أشعر أحياناً أنني متميز في الولادة، وملعونٌ أيضاً:
(أنبياءٌ) ... رعاةٌ يعذّبون، تاريخٌ تحت نافذة دارنا
جدّي راهبٌ كنعاني يبيع الأمشاط والزيت
والزجاج في الحجاز، حين كانت الخليلُ صافية،
لا يعبرها العابرون... (وبترول).
تبارك المكان، سيّد آلامنا
أبقى أراقب السيف الذهبي في الليل
أنا بحر، وهو بحر
من يضحك في النهاية
هو ميت، وأنا حي.
لي قلب وشرايين ومراكز في الدماغ
هو يمتد، يتجذّرُ بين البريّة وجبل اليقين
أشفق على ماضيه الحي
جَرَّبَ القنبلة مرّة في عمره،
وظلّ منكسراً كئيباً
ولهذا لن يُطلقَ النار مرة أخرى.
لأنّه غرق في الفساد، صار وكيل الاحتلال،
إلهي – أرني في حياتي، ثورةً أخرى.

في ملعب عشب الماء والشجيرات غريقة
وأنت تترغل مسبّحاً بحمد المتوسط
أحمل أشيائي وأرحل
إلى مسبح ديانا، في أعالي الأولمب
أتلهى في الطابور بقطع التذاكر
وهذا الرضيعُ الشقيُّ اليانعُ كالذرة
يمدّ لسانه لأية امرأة
أنا لا أفهم ما يريده بالضبط
ولا أمّه المتباهية بنطقه للحروف الثمانية والعشرين،
(ما عدا الضاد).
حين يرى الماء، يترغل للماء
عناقيد أفعوانية في عينيه
كأنه فهم أنني أضحك من الياقطينة المبللة بالندى،
كأنه فهم أنه بلا دُبّ أبيض ولا جواز سفر،
كأنه فهم أنّه – نصٌّ نُصيص،
فنام يحلم بالمتوسط الميّت، بسراويله الكنعانية.

خُذ جرعةً لليقظة

ضجيج أحبابي ... نوارسُ،
حيث الردى يحوم في العشيات
دموعي لهم جبل النجاة
يستيقظ الموج مُلوَّناً كالنيزك،
إذ تهتزّ رواية الثقاة
كؤوسهم فارغة، يهرعون للتراب كالحجيج
شفق أحمر، السحابات مائلة للشرق كالعقيق المدمّى،
الشقيف ينبت فيه الشقيق،
الرماد نجم موجز الأغاني:
لهم نجيع الدم، لهم الأماني
لهم تُقدّمُ الطاعة في الصواني
لهم تقرع الصنوج
لهم الفراق والملح والدقيق
لهم نطوّع الأحجار
لهم: الوزن يختلّ والقافية العَقوقْ
لهم نمسخُ الفسيفساء، منازلَ في الجرمق وحرمون.
لهم نوزع الآهات في الأماسي.
لهم يبرطع الغزال فوق عشب المطالع والأقفال
ليكن الجوهر، لبّ الثمار، نَوَيات النوى
وأنا أهيم على قدمي... فليكن.
يا حجراً كنعانياً مرمياً على أطراف البرْكَةِ الإبراهيميَّة.
هذا الصخب لن يهدأ
هذا اليوم سيخضرّ
هذا البحر، وحش الصباح الندي
يجهّز مراكبه لاصطياد الأسى من العيون.

أمّا دليلةُ، البنتُ الغزّاوية، الساحرةُ، الحوريّة، النديّة،
الرملية، البحرية، الصموت، الذكيّة، القوية، فكانت
تخطّطُ كي تقتلع عيونه وأسنانه وشعره ورأسه.
تذرع الرمل، تلوب مفاوز الخوف والحنين
تفكر في تنفيذ الخطة، على النحو التالي:

ـ تصنعُ الأصدافَ على شكل قطار، تنثرُ الوَدَعَ مربعاتٍ، مثلثات، مكعبات. تستحضر الأعشاب السامة، تقدح الزناد بالصوّان، ترسم سلطعون الماء، غابة تنهار، كلب هو البحر، كلب البحر يمدُّ زُمْلَهُ، يسرق الرصيص من جرار الفخار. الرماد يترمد، المنفى استطال كحورة عتيقة عند مساقط المياه، عيون بنيك

كالعشب اليابس، كالحنين المسحوق والفراق والكوابيس والمجازر. أجلسناك على عرشنا المصنوع من زيتون بيت لحم، قدمنا لك النبيذ، دم الدالية الخليليَّة، أعطيناك دماً ينساب في معاصر الرومان، ينساب في الأزقة، في مجاري المياه. أعطيناك ذهب النساء، أعطيناك عنب العصفور، أعطيناك خارطة القرى والمدن والدساكر، لك الفواصل والنقاط والدماء والأفعال المعتلّة. هات لي جرعة للطريق، هات لي جرعة للحنين، هات لي جرعة لليقظة. هات لي لغة الجذور:

لغة نتداولها، نغازلها، نبتسمُ بها، نأكل بها، نشرب بها، نغنّيها، نصطاد بها: قالت جدّتي: أراهنُ بخمس قصص أسردها لك، إن كنت مخطئة، وإذا استسلمتَ، تكررها يومياً قبل الإفطار وبعد الإفطار، تحت شجرة الزيتون، وإذا أخطأتَ، أمسكُ بعصى الشيخ: (ناطورٌ، كوبٌ، دمية، زغلولٌ، فرْطٌ، شاطئٌ، طاسة، بركة، تنّورٌ، وعدٌ، دبقٌ، منيحٌ، مسكينٌ، سكّرٌ، عتيقٌ، ريّسٌ، تنّورةٌ، جرجيرٌ، خبيصٌ، لبيك، يامو، سبّحَ، زفرَ، دقرَ، تغندرَ، بكّير... الخ). ثمّ انتظرتُ نتائج التكرار، فغفوتُ على ساعد جدّتي قروناً، أمس انتبهتُ، ماذا فعلتْ جدّتي:

- أعطته جرعة الرقاد الأبديّ، دمَّر المعبد، ثمّ ارتحل في الوديان، ارتمى، أكلت النسورُ عينيه. تأكّد أن الأرض تكرهه. ومنذ تلك الحادثة. لم يتآلفوا مع الأرض، وظلّ الخوف مرافقاً لهم في حلّهم وترحالهم. فانقرضوا، ولم يبق أثرٌ أو طللٌ يدلُّ عليهم. لهذا كان لابُدّ من اصطناع سُلالة مزيفة جديدة!!.

ارحلوا

ارحلوا

ارحلوا إلى أوروبا العجوز،

ارحلوا إلى بلاد الروس،

ارحلوا إلى كولومبوس،

عودوا إلى أوطانكم الأصلية

عندئذٍ ... قد نحبّكم.

نحتاج إلى أنهار من خمرٍ،

لكي نحبّكم.

بدو محميون

أيّها الروائيُّ الذي لا يقول الحقيقة:

- تسحسلَ غزالُ الدم،

فوق الصخرة السوداء،

أوْ هُمْ سحسلوه.

تدحدل في الوادي،

تخوّخ البطيخ الأحمر قرب سرسبة المياه،

الواويات تلاقفت عظامه،

ماء النهر ساكن،

وحبّي يرعى الماعز في جبال الحنين.

إلى أن اندلقت رصاصة من كفّهِ المحنّى

أجراسٌ ترنُّ، وأيامٌ على البال تَعِنُّ،

المطر يرشرش فوق سماد الخريف.
سوف يموت من الانتظار
سوف يموت من السكون،
من الانخلاع، من الوحشة،
من اليقظة، من الرقاد في القاع،
البحر الميّت يهتزّ بعد ثورة البركان
يخرج اللآلئ والياقوت من خاصرته
يرمي الجرافات الحديثة بحجرٍ
من مقالع المرمر في (بني نعيم)
في كنعانيا الأعالي.
يتسلل باتجاه البريّة أثناء النوم
تهش له الكائنات،
يستطلع رأس الجبل، مراتع الظباء،
يداوي الجرحى، البُرصْ،
يدفن القتلى، ويصلح الرماح.
لخمرك، لكرومك، لحقول زوّانك،
أغني
لمناجمكِ البكر، أخبئك في دمي المتشرد،
أنت صرحٌ من لحم وعظم، ودم لا يجفُّ،
يخرج عند غروب الشمس، يصيح،
كتيجان الأعمدة الأثرية
مستنفراً ملاك الطلق،
تخرج غابة لتحطم الأوثان الوحشية في الغابات.
أي بنيك، أي بيوتك، أي لياليك
أي الأيائل لم يلحق به أذى
غمامة تمر، أنتِ قرب النخيل،
رعد وبدوٌ بحريون، برقٌ سرمدي
وهم الآلة التي تتلاشى وتتحطم.

بئرُ السبع، ماءٌ ومدينة، صحراءُ، فرسانٌ، يحمون حدودها من الغزاة العابرين نحو الشرق. العابرون قساةٌ كعيونهم الزرقاء المتحجرة، يقودهم روائيٌّ كلبٌ أعرج يُدعى – عاموس عوز، جاء لا أدري من أين، ليتشمَّس في تلّ عْراد، يحتلُّ أعشاش الآخرين. ظلّ السبعاويون يقاومون الجراد والغزاة وعاموس عوز، الروائيّ الذي لم يقل الحقيقة مرّة واحدة في حياته. الروائي الذي له مزرعة خنازير وأبقار في أرض الغير. الروائي الذي يخاف من البئر، يخاف من السباع، يخاف من نفسه. الروائيُّ الذي قتل غسّان كنفاني. الروائيُّ الذي لم يقل الحقيقة مرّةً واحدةً في حياته.

وأنتَ يا أ. ب. يهوشواعْ:
إنْ كنتَ صادقاً،
عُد إلى بلادك الأصليّة،

وأنا أعود إلى بلادي الأصليّة.

لن أتحاور معهما، أيها الحريصون على العجز.
لنْ
أتحاورَ
معهما
أيّها
الحريصونَ
على العجز.

يمامة يا يمامة

تَطنّينَ قرب قفير النحل في ملتقى النهرين
بين صيدا... وصور
قرب أفاريز النوافذ البحرية
قرب جبل ياقين، بين البرية وحقل الرعاة،
تلوبين – إخوةٌ في الرضاعة نحن،
تلبسين فراء الثعلب
تنثرين خداج البيض على عيون الأعداء
في الفجر الكريستالي الأزرق المبلل
تذهبين إلى نهر الكلب، ومنابع العاصي
ترحلين إلى أبناء عمومتنا في كريت
ترفرفين على خشب الأرز قرب بكفيّا
بعنايتك ينمو عشب الغابات في أورْ سالمْ،
قرب مساقط المياه، قرب عين سلوانْ.
صمغ البطم يتلوّى كمخاط القروي
أقيموا جبل تلاوتي، فالحجر يبكي
الحجر يسكن قرب أمّه الأرض

الأنهار تنقل الأخبار، البحر هائج وفتي،
زَبَدُهُ يطال عنفوان الأكاذيب.
خرجوا من الميت إلى الأبيض، وانتشروا
مجبرين، قرب الأرز الجريح، أقاموا مُدُناً،
قرب أعذاق الموز، دكّوا رؤوس الأفاعي بالحجر
لكل جرح، دواه
لكل قلب، هواه.
تذهب يمامة البرقوق، تهمس في أذن النهر،
تغرز إصبعها في أنف البحيرات،
توشوش الصخر والشجيرات،
تنتحي جانباً بالوحوش المحلية،
وتقيم صلاة مع المطر الساحلي.
هي العناية، هي الرنين، هي الصرخة،
هي الحد الفاصل، هي العروق والمفاصل،
هي الجامعة الخضراءْ
لعظام الشهداء.
تفتت لحم حبيبي تحت أنقاض الغارة في كتاب البحر الميّت،
نما العشب على حجر حبيبي في كنعانيا،
أكل العث سترته المبرقعة.
يمامة يا يمامة ...
كانت اليمامة
تتصدر الهجوم الليلي
تطلق حنانها باتجاهنا
ورعودها باتجاه الأعداء.
على سبيل المثال
أنا... مثلاً... يا سيّدي
لست من أولئك الذين تتحدث عنهم
فأنا ما زلت أهدهد أحلامي وأوقظها
موقناً أن دماً يتناثر في غابات الأوثان ورجوم المقابر
يزهر – ربّما – قرنفلاً، اليوم، أو غداً، أو الذي يليه.
أنا... مثلاً... يا سيدي
أستطيعُ أن أغيظ من أشاء
الأسياد أنفسهم، أستطيع أن أشطبهم
بشطرة من مجزوء الرمل.
هناك شيء في القلب أيها السيد
يتمدد كشجرة تصل إلى السماء السابعة

سأترك لك فرصة الاستنباط:
- هو كالكبريت، ويبدأ بحرف الكاف.
سأساعدكَ في البحثِ:
حدثتْ معركة عام 1968.
لفظة من نار ونور.
لفظة أغيظ بها الأسياد،
متى أشاء.

فاتنات... حتى الفتنة

ناديتُه، حتى يفتاح الباب، افتاح البابْ
لكنه ظل كدم مهراق حار،
يسيل شوقاً في غرفته المغلقة،
هناك في السفوح الشرقية،
المطلة على البحيرة المقلوبة،
كهوف، مغاور، مرتفعات للصقور،
رهبان أرثوذكس
يتقاسمون الجنة في فلسطين
يبنون أديرة لخلوة الشتاء
يبدأون بالتفكير في خلق العالم.
أشعلتُ كروم السفوح وأنباطها
واتخذت عرشي الوثنيّ على رؤوس جبالها
أنطيتكم بحيرة زغر للرؤيا
كي تتعظوا بمن غاصوا في القُفِّ،
في الأماكن الواطئة،
سقا الله يا أمي... أيامك.
سهلٌ كِرْمِلٌ، دومةٌ... وهدوء،
فوق الجبعة تُرفرفُ الأزهار كالكنعانيات
ضفائر عَلْما، لِبنةٌ كالحليب،
(من النفي طبعاً).
البدو البحريون يخلعون صخور الملح
كالدبش... يبيعونه في أجنادين بثمن رخيص.
نطية، أنطيتكم هذا التراب
فهل تتذكرون ملامح وجهي
أيَّتُها النسوة، صانعات بلاط المقابر
كنعانياتٌ... حتى كنعان،
فاتنات حتى الفتنة،

يغظن نسلاً – عابراً
عابراً
عابراً بكامله.
لا تسألوني عن ضفائر اللبن والعسل
بل اسألوني:
ماذا فعلتُ بالراهب الذي قتلوه.
ناديته، حتى يفتاح الباب
ناديته: افتاح، افتاح، افتاح
وإلاّ قتلتُك أيها المقتول، أيها الحبيب.
لكنّه بادرني بابتسامة في النزع الأخير
نطق كلمة، ظلّ يرددها حتى انطفأ السراج:
كنعانيا، كنعانيا، كنعانيا
فاتنة حتى الفتنة.

الجاشنكير

أداةٌ طيّعة، عصاً، سكين، خرطوش
أو حذاء
وهو سعيد بذلك، فلم تغضبون؟!!.
يركض بين يدي سيده عندما يجوع،
يذوق طعامه،
يرتشفُ من شرابه،
يذوق الملح والبهار،
يدخل في الأسرار قبل سيده، فلم تدهشون
معه المفاتيح النووية
حتى لا يدس القرامطة السُم في الطعامْ، لسيّدِهِ.
أتصور الجاشنكير، وهو يمدّ لسانه كالكلب،
يخترق الفاكهة واللحوم،
أيّ سيّد كريهٍ بعد ذلك.
من جهة أخرى
كان الفقراء يهرعون كالأرانب،
عندما يسمعون صوت الطبلخانة،
قرب حارة القزازين في الخليل.
يركبون البراق،
يتكورون حول أطباق الدشيشة،
يلغون في البرك،
يستيقظون مربوطين بالسلاسل،

سلاسل السيد، تكية الرقاد.
ولهذا ضحكوا عليهم
وأخذوهم يُسَرى
ذاك زمن الرقاد، أظافر السَفربيرلِكْ
تنبش التراب.
الآن تكبر الصنوبرات، ينمو السرخس،
قرب حواف الآبار العتيقة
يرسلني أستاذ الأحياء إلى حبيبته التي طولها طولُ كَرْمْ
تعطيني السرخسيات في منديلها الأزرق
كي نجري دراسة مقارنة، نحن التلاميذ
بين الدشيشة، والفيزياء المعاصرة، واليمام الأزرقْ.
كان اسمها فاطمة المحراث والبقول
صار اسمها فاطمة السرخس.
ذهبتْ أيام الجاشنكير
ذهبتْ أيام السفربيرلكْ
جاءت الياقات المُنشّاة،
ربطات العنق، رحلتْ الطرابيش.
جاء الزُرق الشُقر المتوحشون
ذهب الرعاة، كثر القوّادون.
يأتون، يرحلون، يأتون، يرحلون
إلهي... متى أتوقف عن تمزيق الأوراقْ
أوراق وردة الأقحوانْ
متى أكتب سَرْديّتي السرِّيَّة.

أبو النحل النباطي

عيناه مُعَمَّشَتان، من نهش الذباب الأخضر في الحقول. عيناهُ بَرْزقتا في الليل، فاشتعل الليلُ مُرتبكاً، كأنه برقٌ: مرةً، كنتُ أرقب نوّارةَ شجيرة التَبغ الصفراء، تتطاول معتزة بأحفاد البقول. بين صخرة غرانيتية وحجر أثري، ربما كان نافعاً لو حققوا في أمره. وحين وزَّ النحل الربيعي فوق رؤوسنا، قال لي: من الأصفر اشتقّوا اسم العائلة، ودون أن ينتبه، أشار لقلعة الشقيف، قال: (هي كنعانية في اللغة، تصور أنها مازالت تستخدم حتى الآن. وحدّد – الآن – بعد 1976، حتى يصبح تاريخاً). كان يضحك من عصافير الحديد، يهلل لمقدمها، حين تقترب منه، يزوغ منها. يعرف أسماء النباتات، من الزعتر الأكثر شهرة، حتى عصا الراعي، المجهولة النسب، نبتة مقطوعة من شجرة. يعرف أنواع الحشرات: من الذبابة الخضراء، حتى شعبون حمامة الرسول.

يزور البحر، يتمرمغ في رماله، ماذا دهاك – حبيب قلبي – من الأرض وإليها، والنوارس كعصافير الحديد، تُغِير على ثوب صور الأرجواني.

لك المُلْكُ أيها الغمر العظيم، وغمره الرذاذ الساحلي، حتى كدت أن أطلُبَ من (ناجي) أنْ يرسُمَ له (بوستراً)، وأشبكه بمسامات البحر. يُبربط حتى ادعى بأنه اتصل بملائكة البحر في القيعان السحيقة. هبطتْ حمامة، زاجلة عليه كالوحي، فغازلها بأصابعه. صوته راحل في الفجاج الرحيبة عبر المدى الفسيح، في المدن الخربة الهرمة، وعلى قبره نجمة مُنقّطة بالرصاص، وقد كتبوا عليه:

(هنا يرقد موزع الجريدة، موظّفٌ في وزارة الصحة، أبو النحل النباطي).

أزرق أزرق يا أزرق!!!

طولها طول كرم ونهر، نحيلة شفرة السيف كخاصرتها. تفاحة كخدود القرويات، مشربة بالندى، مرفقة بضفائرها اللولبية كالسلّور البحري، رأيتك عند مفرق بين الرمل وبردى. قالت لي، وأشارت ببنصرها للبط البريّ العائم في السبخات. هي الحد الفاصل، هي حبّي الذي يمرع في شواطئ البحر، يقيم صلاتٍ مع الصخور المرجانية والقواقع. ثم كنعستُ كالعصفور. أشارت لمعاقل البدو: سراب، عرار، جمال مدهونة بالقطران تحمل المسدسات. هرع الندامى لإنقاذ الموقف، وأبو نصوح الشيشاني يبدأ كلامه المعتاد هكذا: (في الاتحاد السوفياتي...)!!.

في تلك السنوات المضيئة بالجَدَلْ
كنتُ أحصي المراحلَ والصعوباتِ:
مرحلة ذاتُ رسالةٍ خالدة.
مرحلة قالوا فيها: لا مفرَّ من التأمرُكْ.
مرحلة – جزاكَ اللهُ خيراً.
أمّا أنا، فهتفتُ بأعلى يقيني،
لا جذور بدون كنعانيا،

ثمّ انتشرت المرحلة كالملح في أعضاء القصب. أذوب، أبقبقُ في الماء أستعيد المشهد، أقارن بين الزرقاء والأزرق، بين الأبيض المتوسط والأسود. الرمال الذهبية (كما يقول السكاكي)، غابة تضج باللحم المشوي على السفافيد والوسائد، أصرخ في وحشة النهار النهار: أزرق يا أزرق، يا أزرقْ:

الأسى جارحٌ، أهمد على سرير النجوم.
أحلم بالأزرق المتوسط، بالبطّ البرّي
بالسبخات، بالبنت التي طولها طول كرم
ونحيلة، شفرةُ السيفِ كخاصرتها.
ثمَّ رشَّتْ وجهي بالماء، امرأةٌ أخرى
قالت لي: قطارُ (براغ)، ينتظرك.

تاريخ الزجاج

أيهما البحر؟ أيهما زبد البحر؟. ينحلُّ في التراب بساتينَ من برتقال وعنب، فضة تتوكأ على ضلوع الأجداد، أم حبي الذي عظامه انمعست في المجزرة؟!!. تباركت الزجاجة، تبارك تاريخها. ختمٌ من الحروف يوحي بماء العماد، هو النهر الصدأ منساباً باتجاه بحر الملح. كان حبي جالساً في الهجير على جسره الخشبي القديم، حين مرّ الغاوي. ينتظر دوره في التفتيش وأنا أقرأ تاريخ الزجاجة: الملح أم البحر، هل نُتركُ على التلال والوهاد النبيّة ثم نرحل غمامة، كنجم يعود إلى سجنه. أقرأ ختم

قصيدة كتلة .

الزجاجة الخالية من المرارة، أرى جبالاً من الصوّان، أرى مدناً وأحراجاً ومواويل وأصفاداً، أرى طفلاً يرجم جندياً، قنابل تنفجر في غابات الرعب. أرى جدّتي تنفض غبار العثمانيين، أرى سماوات كأن حارس الخيمة الزرقاء قد قال لها: اهدئي يا مبروكة، لقد بلّغت، كنعانُمَّ فاشهدْ. ظلت الرموز والإشارات، ختماً على جسد الزجاجة، فراشات سوداء على عشب البحر الأبيض، البحر ملك يتوسد عرش الفاكهة، الغور هشيش كقفير النحل، في الهيش تتلى الصلاة، في القلب ندبٌ... أراه في الشرايين. ختم الزجاجة، ماؤها الملح يرفع كأسه نحو الغيوم يقول: ستدمّر هذه المدينة يوماً ما، سيتناثر دم الزجاجة، لقد بلّغت، كنعانمّ فاشهد.

نما العشب على متراسه، وصورته المُبْرَزَةُ توحي بذلك: شرقيّ المسجد مقبرةٌ، تطل على الوادي الذي يُهرّبون منه البقر إلى العرب (المسالمين)، يختبئون تحت العوسجة فجراً، إلى أن تمر الشاحنات، فإذا مرّت... أطلقوا النار، وإذا لم تمر... أطلقوا النار، ويصدر البلاغ في الغيوم. لقد بلّغتُ، كنعانُمَّ فاشهدْ. كأن حارس الكروم يركب حصانه، يصعد الأغاني، درجات قصر الحاكم في (الخليل)، علامة السؤدد في عينيه، إشارة الرحيل. كان يرى مَزاود (الكرك) المنشورة على الحيطان. حارس الزجاجة يُعنقرُ مَريرهُ على كوفية رملية، مدعياً أن عاصفة حمراء، خضراء ستأتي، يعلل النفس، وفي مطر الربيع الكريستالي تنهمر القبائل في بريّة النقوش، يلتمع جسد البركة حول الشاي، الوعول نافرة نحو السدود باتجاه سدوم. هناك تلّة وزعرورة، أراهما الآن كما أراك الآن، واحسرتاه يا أمي: أنخت تحتها قطيعاً من ملصقاتي وغزلان دمي، غازلت البدوياتِ الرعابيب، يقفزن في الشقوق، لاهثاتٍ يخلعن خُبّيزة كنعان. أزَاوجُ بين عناقيد البرية والسفح المشاع. أجسادهم مدفونة تحت صخور المغاور، أيائلهم تركض نحو الملح، هم الصلابة والذكرى. لقد بلّغتُ، كنعانُمَّ، فاشهدْ. ناديت حارس الكروم قلت: الجرافات تزعج عظامهم... ختم الزجاجة يكذب، ها قد بلّغت، كنعانُمَّ فاشهد، كنعانُمّ فاشهد.

انشقاقات الغيتو

أشحتُ عن جدول الضرب،
قابلة للقسمة عيناكِ،
جسدك لانشقاقات الغيتو.
رأيت القطيع – فيما يرى النائم
يتشمس قرب السلسلة،
إحداهن تاهت، وقعتْ في بئر حبي.
ثرثرتُ عن غربة الروح، انشلاخ الأرض،
فلم يجد ذلك نفعاً.
خرقتُ أصول الكلام، كسرتُ مواعيدَ الظلال،
استرحتُ للشكوى، وعقاقير الضحك،
ولم يجد ذلك نفعاً.
فرفطتْ روحي، تطيّرتُ، فاسترخيتُ
عند حدود مملكة البرتقال.
للرذاذ الناعم سحره الملكي
كالعطور التي يرتش بها كنعان قبل السفر،
بعد الوصول إلى حافة اللذة القاسية.

جغمْتُ رُبْع أفنديةٍ،
فشرشر الملحُ، فاحتْ رائحة سدومْ
مشموشة هذه البقعة... ثمَّ اختطفوه في الفجر،
لكن ذلك، لم يجد نفعاً.
كان شجر الخابور يغمز بخبث مقصود
كذلك بعض المياه في قيعان نهر الغزال المندثر.
رسمتُ طوبغرافية الجسد، شبراً شبراً،
وبدأت أخلع المرارة صاحبتي،
قطعة قطعة كخاتمي النافع،
حين حدثت المجزرة، انفسختُ،
حين وصلتُ، اكتملتُ، هدأتُ،
تعرقبتْ قدماي.
أصبحتُ لاجئاً يحمل بقجة،
في يوم من أيام 1948، أوْ 1967.
منذ ذلك العام، يتلقّتُ قلبي ألف مرّة في الساعة. فلنحسبها جيّدا، كي يتذكر أحفادنا، كم لوينا أعناقنا. كم لوينا أعناقنا، كم لوينا أعناقنا، ولم تنكسر. لن نمنح الشرعية للأزرق القادم من الغرب، لن ننحني لأحد، وكما سافر جدّي كنعان عبر المتوسط، ثمّ عاد، سوف نخترق المسافات.
البحر يصهل مهراً. الطين بلغ الزبى
البرزخ انهدّ، استقال من خبطات البساطير.
حلفتُ بدم المطعون فوق الخشبة
بأنه تركني وحيداً في هذه البرية
صرختي تصل إلى جذوره، ولا تصل.
دموعي زبد الأنهار
أسرابهن فوق العوسج، تحت النير، يكتوون بالسفافيد
دَهَسوهُنّ بالبلدوزرات،
حيث الحداثة ذئب، اللغة فراق.
شهق الأطفال وانطفأوا من الظمأ،
من ارتعاشة النزف،
من مسحوق العظام عند سواحل النبع،
ولم يجد ذلك نفعاً.
واسألوا مقبرة الشهداء إذا لم تصدقوني
اسألوها، اسألوها، اسألوها:
هل شبعت من عظامي ولحمي!!

جنازة الإيقاع

أحياناً،

في وحشة الغسق النبيذي، أنكسرُ من الوحشة
أتزمَّلُ بأحجار الكستناء
أتدثَّرُ بالفرسان يعطشون قرب عين الصفا
أتمسمر عند حادثةٍ استلبتْ أرضاً،
بصخورها ومواعيدها.
أتسلق شجرة البطم في السفوح الشرقية،
أتطلع باتجاه البحر الميت،
الساكن سكون الأموات،
أقول لنفسي،
لدير الروم الأرثوذكس، الذي ينفخ نارجيلتَهُ، بهدوء،
بهدوء أقولْ:
لو كان حياً بيننا،
لو كان حياً بيننا، لأمسكتُ بتلابيبهِ،
وجرَّدتُهُ من بحوره الستة عشر،
أعني الخليل، ولا أعني الخليل
أعني البحر، ولا أعني البحر الميت.
أحياناً أقول: يا ولد،
مالكَ وجمالهم، وشياههم، والقناديل في المغاور
بحري يضيء منارة التائهين في دوخة الأفق الساكن.
أحياناً
أرحل إلى جبل اليقين قرب مغارة الشقوق والعشب
أنظر إلى بركة الكِرْمِلِ (بكسر الكاف والميم)
أكرّر: بكسر الكاف والميم،
فأرى امرأ القيس
يحمل مُعلَّقتهُ على ظهر خنزيره، المدمّى بالتشبيهات،
يريد بيعها لمشايخ البدو،
عنيزة تسبح عارية،
إلاّ من الماء الذي يغطي القنوات والأخاديد.
سأقول له انظر: كم هو النهر طويل
يتدفق في الرمل سهلاً، ليّناً كجلد الأفعى،
سريعاً، يمشي خبباً بين الصخور الملساء،
الخير الوافر يملأ جنبات الوادي.
ثم أثوب إلى رشدي.
أقلب الأمر من جميع جوانبه:
كانت الدلالة، سيّدة البرّين
تتمختر في بادية كنعانيا، وما بين النهرين

تتجاذبُ أطراف الأحاديث الفرعية
مع الرهبان المنفيين،
في المرتفعات الثلجية،
آراميون من جبل الخليلْ
أسموهم فيما بعد: موارنة.
ماذا يعنيني إنْ كان (المُتنبّي)، المَغْرورْ
يهجو، أوْ يمدح يا قافية الدال النَحْسْ
ما دام ذليلاً قُدَّامكَ يا (كافورْ)
ينتظر بقايا الكأس!!.
أحياناً
حين أغرقُ في الصفحات الأخيرة من المجلات الملوّنة
أقول بأن الرجل كان على حق،
لكنني أشعر أنني أميل للتبسيط،
فأنادي الخليل،
أمسِكُهُ من أذنهِ،
أصرخ في وجهه المخطط كحمار الوحش:
لماذا البحر الميّت لا يرقص كالإيقاع!
لماذا الجبل يضحك منا! حين يرانا مُنْخطفين!
لماذا نبني سلالم، نغرز أرواحنا في الوعر!
لماذا عظام الأجداد تعشق الهدوء؟!
... ...
والخليل لا يجيب، صامتاً كحجر البازلت،
في مقالع المرمر في بلدة بني نعيم الشريفة،
في كتاب العروض،
المُقرّر على طلبة الجامعات.

لا يذهبون ولا يجيئون

هم أحبتي يا أبت، لا يذهبون، ولا يجيئون،
إلاّ من الفراق أو من المجزرة.
سأقول للبحر الأبيض
لماذا أنت متوسط؟!!
لماذا أنت أبيض؟!!
وأقول للأبيض المتوسط

لماذا أنت بحر؟!!
وللسفن الذاهبات
لماذا تذهبين للصلاة،
ولا تذهبين للدم عند قدم السور العتيق.
أعرف حجر التماثل – التضاد المزروع،
تحت صخر الكرمل
(سبق أن قلنا: بكسر الكاف والميم).
أعرف التناطح والتصافح،
والتراشق والتسابق،
أعرف طير الشرقرق،
ندىً جناحاه يهطلان
حنيناً دموياً وسوراً من الأدعية المنخورة.
أشتقُ من الرحى – الرحيل
من السقائف – التلاجؤ
أدير مملكتي بنفسي
دون مساعدة أحد،
دون هتاف يعلو،
دون قميص يشقق،
دون صرخة أو صلاة.
للأبيض يخته الملكي، وللرمل ألوانُهُ المتقلّبة كزماننا
للندامى كوخ الصفا
لقلبي مَشقّاتُهُ، جراحُهُ طويلةُ الأمد.
أيَّتُها المنزلقة عند فخذ البحر،
ترين رغوة دمي، ولا ترين دمي.
دمهم حليب الكنيسة،
وأنت، أنت
دمامل سنواتك تصوّنتْ
واسألوا نصوص الصلوات، أسماء المدن
اسألوا قلبي.!!!
لا يذهبون ولا يجيئون إلاّ لعرس أو مقبرة
نصوص انشقاقاتهمْ منقوشةٌ في الصخر.

حجر الفلاسفة

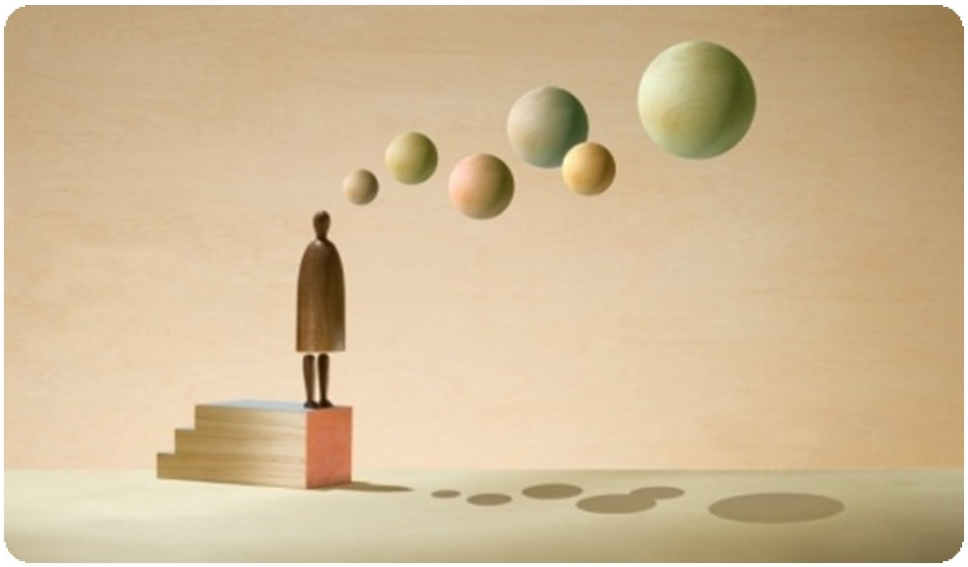

أمسحُ تضاريسَك بأدواتي القبائليّة،
أفكُّ برزخكِ المتعالي، أحلّ عقدتكِ العصيَّة
أغْرَقُ في ينابيعِك، أفُضُّ ختمك،
تشهقين، فأستريحُ على ظهري كشهيد.
رغم أنَّ البحرَ ما زال متوسطاً
على سواحلِهِ، تقع كلٌّ مِنْ:
قُبْرص
وحيفا.
خذوا شجر العنب والبرتقال، الذي في كتابِ النصوصْ.
اتركوا لهم الساحل، قال لي
فتعاركنا بالأرجل،
شعرتُ أنَّ (الخليلَ) تقتربُ منّي في تلكَ الليلة
كان دمي ينزفُ،
الصحفُ تغطّ ريشها في الأرجوانْ
تكتب المانشيتات العريضة.
حين صحوتُ، وجدتُني في الباحة يركلني الجنود.
وأنا شخصيّاً، أعترف بمهارتهم
فلم يلمسوا القلب.
ظللتُ في الزنزانة،
أستحضرُ الأبيض المتوسط،
حيث كنتُ أستحضر الياقوتَ الأحمر،
أخلطه بالصبغة الزعفرانيَّة،
كي أصنعَ شاطئاً حجريّاً،
ثم أحضُرُ قليلاً من دقيق القمح،
أنْـعَفُـهُ،

من اللاذقيَّة ... حتّى غزَّة.
ثم أمزجُ دموعي بحجر الفلاسِفة.

الخاصـــي

كنت منتشياً ليلة أمس، دَقْدَقَ عليَّ الباب، وكانت الثانية ليلاً، اسمعْ، اسمع، قال لي: الآن نستطيع أن نصوغ خارطة الأخوة فلنبدأ التعريف – الآن، الآن، داعبته: نعرفها غداً صباحاً.

غَرّبَ، شَرّقَ، قبّل، شمّل، أطاح بالممالك والعروش، وهدم السدود، ردم الأنهار، أشعل القلب حنيناً للبحيرة، للمغاور الكنعانية، وصف الماء الذي تحوّل خمراً، أعاد تركيب السكان، أقام مدناً جديدة، أقام أسواقاً تجارية، ... وأنا أشخر: (جنونٌ يمتدّ فيسري، عقاربُ على صدغيها، أتكور كالقنفذ، المدينة غاضبة عليّ، لمن الحشود، لمن الجنود يحشون مدافعهم، لمن التصريحات، لمن التوازن والتمازج والتحالفُ والتآلف والبنادق والخنادق والبيارق تُرفع يا هذا. هي اعتادتْ. هم اعتادوا عليها، وعتادهم مطر يذرذر في المآقي، وعتادها ثلجٌ يُنقَّطُ بالشظايا، وعَتادُنا خدر الذّهول).

مآذنُ قال لي، وصلبان وجبل القفزة، ثم أضاف: يغترفون لحم البحر بالجرافات الحديثة، ونحن نُسنده، مع من يقف السيّد المتعالي. نجمة البلدية تنير الساحل، عطرها يتسلل من جبين الحاصدات، أيامها صعبة. حين ينبغي أن يسندوك بحجر، يدفعونك للبئر العميق. حين تتوالى النكبات، يكثر اسمك في الصحف. وهو يقرقر وأنا أشخر في آخر الليل:

(أوقفني الحاجز، أطلقني، بعد أن تأكد أنني لست من المطلوبين، ضحكت عليه، جواز سفري كتبته بنفسي، رشوت ضابط المطار، فوضع الأختام القانونية. أنا ابن الأرض، وهو العابر. مسحورة أنت تشربين القهوة على قارعة المكاتب، تزعقين في المقابر، تزغردين في الساحات).

مدجنون. أمس ناديت (كنعان)، شرحتُ له الأمر. أشعل غليونه، سافر في غيمة الدخان، كَفَر واستعاذ بالرذاذ الساحلي، هرب البحر إلى قدميه، بدأ يحكي لي عن تجارته الماضية، استخار البحر، وكان البحر صامتاً، كتمت أنفاسه الأساطيل. كل شيء مترجم يا ولدي، كل شيء مُدجّنٌ يا ولدي: يأتون من البحر ومن أعالي جبل الأولمب، يركعون أمامي، تحتشدُ الكائنات كعيون الآدميين.

- البحر، عليك أن تثق بالبحر – وغاب في غيمة الدخان. وحين لاح الصباح الصبوح، (ليس جدّي كنعان)، لاقيته في الشارع، خامداً كحجر قديم، مرّت عليه القبائل والغزوات، لاقيته حجراً تبلّل بالندى، شواه البدو في اللتّونْ، وظل نيئاً، صامتاً في الرمال، قلت له: تعال نعرف خارطة الأخوة. قال لي: شرط أن تعترف، قلت: لن أعترف، حتى لو اعترف المحيط والخليج، وما بينهما. لن أعترف، لن أعترف، لن أعترفْ. أغلقتُ القوس، لكنّه لم ينغلقْ.

(صدرسنة 1983)

الديوان الثامن